

# نهاية كسرى

موسوعة الرشيد

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين على ما أنعم وأولى، والحمد لله في الأول والآخر، اللهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اختارني الله واختار لي أصحابي) فكانوا حملة رسالته من بعده مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله حماية للمجتمع المسلم وتأمين حرية إبلاغ الرسالة إلى الناس كافة فيختار الناس الدين الذي يشاؤون دون إكراه متمثلين قول الله تعالى: ( لا إكراهَ في الدينِ قد تبينَ الرُّشْدُ مِنَ الغيِّ.. ) البقرة:256، فمنهم من قضى شهيداً ومنهم من كان النصر على يديه نصراً للإسلام وعزاً للأمة دون أن ينتظر منهم جزاءً في هذه الدنيا، فهذا الصحابي الجليل النعمان بن مقرن رضي الله عنه يدعو الله وهو يقود معركة نهاوند التي سميت "فتح الفتوح" لعظمتها ولكونها قضت على دولة الفرس في عقر دارهم، فهي والقادسية صنوان - القادسية أنهت كل أمل للساسانيين في حكم بلاد العرب وليس العراق فقط، ونهاوند أنهت دولتهم إلى الأبد دولة الأكاسرة - فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مات كسرى فلا كسرى بعده، نعم يدعو النعمان بن مقرن وهو يقود معركة نهاوند قائلاً: "اللهم اعزز دينك وأنصر عبادك واجعل النعمان أول شهيداً اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك" فبكى الناس.

نعم، كان الصحابة بهذه الروح يواجهون دولتين كانتا الأعظم في العالم يومذاك دولة الروم التي كانت تحتل أجزاءً من الوطن العربي وقاعدتها المتقدمة بلاد الشام. ودولة فارس كانت تحتل أجزاءً أخرى في الوطن العربي وفي مقدمتها العراق، لقد كان العراق وعلى مر الزمن الدولة العربية الوحيدة التي كانت النظم السياسية كافة التي تعاقبت على حكم إيران تستهدفها في الأساس. وكان آخرها الإمبراطورية الساسانية والتي احتلت العراق بعد سيطرتها على الهضبة الإيرانية وتجاوزت العراق إلى أقطار عربية أخرى.

وكان بينها وبين الدولة الرومانية حروب، ذكر القرآن آخرها في سورة الروم التي انتصر فيها الفرس أولاً مما رفع معنويات وآمال كفار مكة بالانتصار على المسلمين إذ أن الفرس لا كتاب لهم والروم أصحاب كتاب فأخبر القرآن الكريم أن الروم سينتصرون على الفرس بعد بضع سنين وقد كان ذلك.

وقد كانت رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس وتمزيق كسرى لأكرم رسالة وصلته أول احتكاك بين المسلمين والفرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوالت بعد ذلك المواجهات حتى انهارت الإمبراطورية الساسانية على عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بمقتل يزيدجرد.

ان أهمية دراسة تاريخ الدولة الساسانية في العراق وإلى زوالها يتأتى في كون الدولة الساسانية لا نظير لها من عدة وجوه؛ فهي: أول إمبراطورية عظيمة حقاً في التاريخ وذلك لسعة ملكها وطول الزمن الذي ازدهرت به وكانت تمتلك مستواً عالياً من الثقافة والحضارة والقوة العسكرية.

وبالمقارنة لما كان عليه العرب قبل الإسلام لا يمكن أن يرتقي الطموح العربي إلى مجرد التفكير بمواجهة الدولة الساسانية فضلاً على أن يأملوا بالنصر عليها أو إزالتها من الوجود.

من هنا تتجلى عظمة الإسلام، فقد..

1. نقل العرب نقلة عظيمة من أمة كانت على هامش التاريخ إلى أمة قيادة أثارت إعجاب المنصفين وحفيظة الحاقدين.
2. أقام دول لم يعرف التاريخ مثلها في عدلها وإنسانيتها وسعتها.
3. لم يذكر التاريخ ان شعباً دخل الإسلام ثم تراجع عنه حتى في حال ضعف المسلمين، بل أن المغول الذين جاؤوا غزاة للقضاء على الإسلام ودولته اعتنقوا الإسلام وأقاموا دول إسلامية .
4. الشعوب الغير مسلمة التي انضوت تحت مظلة الدولة الإسلامية كانت تفضل العرب المسلمين على بني جلدتها الذين كانوا يتولون أمرها قبل المسلمين.
5. مزج الإسلام بين الأمم التي دخلت فيه فكانت أمة واحدة تجد فيها العربي والفارسي والكردي والتركي والبربري والأوربي وغيرهم.

هذه مقدمة تبين لنا عظمة الجهد الذي بذله الصحابة رضي الله عنهم لإيصال الهداية إلى شعوب العالم.

وقد كان للعراق الحظ الأوفر من هذا الجهد؛ لما امتاز به أولاً من قرب من الجزيرة العربية مؤل الإسلام الأول ولكونه تابعاً لدولة تمتلك أقوى آلة عسكرية مرهوبة الجانب في عصرها -الإمبراطورية الساسانية - وكان قادة الجيش الساساني من الأبطال المحنكين يفخرون ويفخر جيشهم معهم بإنجازاته الماضية وقوته الحالية -آنذاك -

ان الصحابة رضي الله عنهم عندما واجهوا هذه القوة لم يكن طموحهم الغلبة والاستعلاء والتسلط بل تحرير الإنسان من عبادة الإنسان وفتح طريق الهداية ليختار ويتحمل مسؤولية اختياره، قال تعالى: ( لا إكراه في الدين.. ) .

جاءوا وكما قال رباعي بن عامر ليزدجرد: جننا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله.

وكما قال المغيرة بن شعبه لرسمة عندما توعدته رسمة بقتل المسلمين إذا أصرروا على الحرب، إذاً سنقتلكم غداً، قال له شعبه وهو واثق بموعد الله بالنصر: (إن من يقتل منا في الجنة ومن يقتل منكم في النار ومن يبقى يظفر بمن يبقى منكم).

جاء هذا الكتاب ليبين جانباً من عظمة النقلة التي نقلها الإسلام للعرب أولاً وللمسلمين ثانياً وللإنسانية ثالثاً. وليضع بين يدي القارئ الكريم صفحة من الصفحات المشرقة للصحابة رضي الله عنهم للقارئ العراقي أولاً والعربي ثانياً، اعترافاً بفضلهم وتخليداً لذكراهم وتواصلًا معهم لتعيد لهذه الأمة ماضيها وريادتها العالمية التي ما انفك أعداؤها جاهدين لتجهيلنا بتاريخنا وتزهدينا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رموز هذه الأمة ونبراس مسيرتها إن أرادت السمو والرفعة.

راجياً من الله تعالى أن يرزقنا صدق النية والقول والعمل، وأن يكون هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه سميع مجيب.

واشتمل البحث على:

مقدمة وتمهيد وثلاث فصول:

الفصل الأول: العرب المسلمين والفرس منذ عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وحتى مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام، وهو ثلاثة مباحث..

- المبحث الأول: العلاقة بين العرب المسلمين والفرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- المبحث الثاني: المواجهة العسكرية منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما قبل فتح الحيرة.

- المبحث الثالث: من فتح الحيرة إلى مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام.

الفصل الثاني: من مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام إلى ما قبل معركة القادسية، وهو ثلاثة مباحث..

- المبحث الأول: من مغادرة خالد إلى الشام إلى معركة الجسر.

- المبحث الثاني: معركة الجسر.

- المبحث الثالث: معركة البويب.

الفصل الثالث: من معركة القادسية إلى مقتل يزيدجرد، وهو أربعة مباحث..

- المبحث الأول: معركة القادسية.

- المبحث الثاني: التحرك نحو المدائن وفتحها.

- المبحث الثالث: من المدائن إلى نهاوند.

- المبحث الرابع: ما بعد نهاوند إلى مقتل يزيدجرد ونهاية الدولة الساسانية.

- الخاتمة.

- المصادر.

## تمهيد

### موقع العراق في العالم القديم<sup>١</sup>

يمتاز العراق بأهمية كبرى في المنطقة العربية والعالم منذ القدم وذلك لموقعه الجغرافي والاستراتيجي وماضيه الحضاري العريق وثرواته الكبيرة من أرض خصبة ومياه وفيرة وتجارة رائجة داخله وعبره مما جعله مطمع كل من يبحث عن الثروة أو بناء مجد.

قال عادل أحمد كمال: (ومن الناحية الجغرافية، كان العراق يحتل موقعاً استراتيجياً بالغ الأهمية لأنه كان يقع ضمن الجسر البري الذي يربط القارات الثلاث آسيا وأوروبا وإفريقيا، كما كان يصل المحيط الهندي براً بالبحر الأبيض المتوسط، وقد كان لذلك كله أثره على تجارة الترانزيت، فكان لموقعه دور هام في عهد القوافل التي كانت تعبره من آسيا إلى أوروبا، مثل طريق الحرير المشهور الذي كان يمر الحرير خلاله من الصين إلى الدولة الرومانية، كما كانت تنقل خلاله التوابل والعاج والسكر والكحل والبخور والأحجار الكريمة، ولم يفقد أهميته تلك إلا بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، ثم شق قناة السويس بعد ذلك)<sup>(١)</sup>.

وقال واصفاً العراق نفسه: (وأرض العراق منخفض حتى لكأنه واحة كبيرة وسط ما حوله، فمن الشرق يحصره إقليم الجبال ومن الشمال تحده جبال أرمينيا وأذربيجان، ومن الغرب صحراء السماوة والتي ترتفع عن مستواه، وفي جنوبه وجنوبه الغربي العروض ونجد، ولقد عرف العراق عند العرب السواد وذلك لسواده بالزرور والأشجار .. والعراق في لغة العرب الاستواء، سموه سواداً لاستواء أرضه حين خلت من جبال تعلو وأودية تنخفض ويشق العراق النهران الكبيران دجلة والفرات ولذلك عرف منذ القدم ببلاد ما بين النهرين)<sup>(٢)</sup>.

وقد أورد المسعودي طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن عنده العلم والدراية في البلاد ان يصف له البلاد، حيث سأله قائلاً: (إنا أناس عرب قد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوا الأرض ونسكن البلاد والأمصار، فصف لنا المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة وأهويتها في سكانها، فوصف البلاد وقال في صفة العراق: واما العراق منار الشرق وسرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه وبه اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال .. وقلب الأرض العراق وهو المجتبي من قديم الزمان، وهو مفتاح الشرق ومسلك النور ومسرح العينين، ومدنه المدائن وما والاها، ولأهله أعدل الألوان وأنقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح، وفيهم جوامع الفضائل وفوائد المبرات.

(1) الطريق إلى المدائن: ص131.

(2) الطريق إلى المدائن: ص132.

وفضائله كثيرة: لصفاء جوهره، وطيب نسيجه، واعتدال تربته، وإغداق الماء عليه، ورفاهية العيش فيه) (3)، وقد وصف كعب الأحبار العراق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً: (يا أمير المؤمنين .. إن الله لما خلق الأشياء الحق كل شيء بشيء فقال العقل: انا لاحق بالعراق، فقال العلم وأنا معك) (4).

ولموقع العراق هذا وثرواته وطيب العيش فيه ازداد تكالب الأمم عليه وكان للفرس النصيب الأوفر من ذلك وخاصة الإمبراطورية الفارسية الساسانية التي حكمت العراق من عهد مؤسسها اردشير بن بابك وإلى تحريره على يد الفاتحين العرب المسلمين.

## المقاومة العربية في العراق قبل الإسلام

تنوعت أساليب المقاومة العربية للاحتلال الفارسي للعراق، منها المقاومة العسكرية والمقاومة السلمية، والمقاومة الاجتماعية المتأتية من الشعور العربي بالاستعلاء الاجتماعي على الفرس بالرغم من الضعف المادي مقابل التفوق المادي للفرس، وقد بدأت المقاومة المسلحة العربية منذ دخول اردشير العراق.

## المقاومة المسلحة

لا يمكن الإحاطة بكل العمليات العسكرية للعرب في العراق للتخلص أو الحد من النفوذ الفارسي فيه، وأول من واجه اردشير العرب الانباط وهم الارمانيون وملكهم "بابا" والاردوانيون وملكهم "أردوان" وهم أنباط الشام، انتهت باستيلاء اردشير على العراق بعد أن استطاع أن ينهي الحلف القائم بين بابا و أردوان. جاء في الطبري: ( قدم اردشير في أهل فارس يريد الغلبة على الملك بالعراق فوافق بابا ملكاً على الارمانيين، ووافق أردوان ملكاً على الاردوانيين، الارمانيون انباط السواد والاردوانيون أنباط الشام، وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك، فاجتمعا على قتال اردشير، فقاتلاه متساندين .. فلما رأى ذلك اردشير صالح بابا على ان يكف عنه ويدعه وأردوان ويخلي أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها، وتفرغ أردشير لحرب أردوان، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له وسمع له وأطاع بابا فضببط اردشير ملك العراق ودانت له ملوكها وقهر من كان يناوئه من أهله حتى حملهم على ما أرادوا مما خالفهم ووافقهم) (5).

وكان على الحضرم ملك عربي يدعى الضيزن على عهد سابور بن اردشير وكان ينتهز الفرص للتوغل في أراضي السلطة الفارسية وقد أسر أخت سابور واسمها "ماه" في آخر تعرض له، وكان سابور بعيداً في خراسان، فلما عاد وعلم بذلك توجه نحو الحضرم وحاصر الحصن الذي يقيم فيه الضيزن ويقال: ان الحصار دام أربع سنوات ولم يستطع الاستيلاء عليه وهدمه إلا بخيانة من شخص مقرب من الضيزن فقتله وهدم المدينة.

(2) المسعودي: مروج الذهب 61/2.

(3) المسعودي: مروج الذهب 642-65.

(1) الطبري: تاريخ 42/2.

جاء في الطبري: ( وكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضرة وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون والعرب تسميه الضيزن من العرب من قضاة وانه الضيزن بن معاوية بن العبيد .. ابن الحاف بن قضاة، وزعم انه كان ملك أرض الجزيرة، وكان معه من بني عبيد بن الاجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى وان ملكه كان قد بلغ الشام وانه تطرف من بعض السواد في غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان سابور بن أردشير فلما قدم من غيبته أخبر بما كان ، فقال: هذا من فعل الضيزن □ شاعر هو- عمرو إلة ... بن الحاق بن قضاة.

لقبائهم بجمع من علافٍ ... وبالخيال الصلّامة الذكور  
فلاقت فارس منا نكالا... وقتلنا هرابذ شهرزور  
دلفنا للأعاجم من بعيد ... بجمع كالجزيرة في السعير

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى اناخ على حصنه وتحصن الضيزن في الحصن وزعم أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضيزن، إلا ان أحد المقربين من الضيزن دل سابور على ما يمكنه من قتله ودخول المدينة، ففعل وتداعت المدينة ففتحها عنوة وقتل الضيزن يومئذ<sup>(6)</sup>.

وفي معجم البلدان: ( لما افتردت قضاة سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة وعليهم ملك يقال له الضيزن جلهمة أحد الأحلاف -ويقال- الضيزن بن معاوية .. بن قضاة وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلها إلى الشام فنزل مدينة الحضرة .. فأقام فيها الضيزن مدة ملكاً يغير على بلاد فارس وما يقرب منها .. ثم انه أغار على السواد فأخذ -ماه- أخت سابور الجنود<sup>(7)</sup>.

وكذلك واجه سابور ذو الأكتاف الذي أوقع خسائر كبيرة في صفوف العرب - وقد أطلق عليه العرب "ذو الأكتاف" لنزعه أكتاف قادتهم - واجه حلفاً عربياً رومياً وكانت غاية العرب الانتقام منه.  
جاء في الطبري بعد ذكره لليانوس ملك الروم الذي قاد الحملة ضد سابور وجنود فارس ذو الأكتاف: ( وإنه - أي لليانوس- جمع جموعاً من الروم والخزر ومن كان في مملكته من العرب ليقاتل بهم سابور وجنود فارس، وانتهزت العرب بذلك الفرصة للانتقام من سابور وما كان من قتله العرب<sup>(8)</sup>.

وكانت معركة "ذي قار" بعد ذلك من أشهر المعارك بين العرب والفرس قبل الإسلام، وكانت بين بني شيبان والفرس وكان الذي أهاج يوم ذي قار بين بني شيبان والفرس ( ان النعمان بن المنذر اللخمي قتل زيد بن عدي

(1)6 أنظر: الطبري: تاريخ 471-49.

(1)7 أنظر: معجم البلدان 2682-269.

(2)8 أنظر: الطبري، تاريخ 581-59.

العبادي وكان عدي من تراجمة ابرويز كسرى بن هرمز وذلك ان النعمان بن منذر قد تربى عند عدي بن زيد وكان للنعمان أخ يقال له الأسود تربى عند قوم من أهل الحيرة يقال لهم بني مرينا ينسبون إلى لخم، كان اولاد المنذر ثلاثة عشر، فلما مات المنذر أراد كسرى أن يولي على العرب ملكاً بعده فنجح عدي بن زيد بتولية النعمان مما أفاض وأحفظ عليه عدي بن اوس بن مرينا الذي أراد الملك للأسود بن المنذر فأوغر عدي بن اوس ومن شايعه صدر النعمان بن المنذر على عدي بن زيد فكتب النعمان إلى عدي بن زيد: عزمت عليك إلا زرتني فأني اشتقت على رؤيتك وهو عند كسرى فاستأذن كسرى فأذن له، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبس بمحبس لا يدخل عليه احد فيه، ومن ثم قتله النعمان، وكان لعدي بن زيد ولد اسمه زيد حظي عند كسرى بمكانة ابيه، ويذكر الطبري ان النعمان بن المنذر هو الذي مهد لزيد هذه المكانة عند كسرى وفاءً لأبيه واعتذاراً لما وقع منه بحق عدي بن زيد، فكانت هذه المكانة فرصة لزيد بن عدي للانتقام لوالده من النعمان بن المنذر.

وقد واتته الفرصة عندما علم بطلب كسرى نساءً لأهله وولده فحسن إليه الطلب من النعمان وقال لكسرى: إنني رأيت الملك كتب في نسوة يطلبن له فقرات الصفة وقد كنت في آل المنذر عالماً، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة، قال: فتكتب فيهن: قال أيها الملك ان شر شيء عند العرب وعند النعمان خاصة انهم يتكرمون زعموا في أنفسهم عن العجم فأنا اكره أن يغيبهن عن تبعث إليه أو يعرض عليه غيرهن، فأرسله كسرى فلما دخل زيد على النعمان قال له: ان كسرى قد احتاج إلى نساء لأهله وولده وأراد كرامتك بصهره، فبعث إليك فكان جواب النعمان أن طلب الملك ليس عندي وقال لزيد: اعذرني عنده، إلا ان زيدا أو غير صدر كسرى على النعمان وقال له بعد أن سأله كسرى: أين الذي كنت خبرتني به؟ قال: قد كنت أخبرتك بظنهم بنسائهم على غيرهم، وإن لك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري .. قال -أي زيد بن عدي- فأني اكرم الملك عن الذي قال ورد عليه أن أقوله، فقال للرسول: وما قال؟ قال: أيها الملك .. أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا، فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه ما وقع، ولكنه قال: رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا فيصير أمره إلى تباب.

فبلغ النعمان وسكت كسرى على ذلك أشهراً وجعل النعمان يستعد حتى أتاه كتابه: أن اقبل فإن للملك إليك حاجة<sup>(9)</sup>.

علم النعمان ما يريد منه كسرى فأراد الاستعانة بالقبائل العربية أو ان يغيبوه فكانت ردودهم متباينة. جاء: ( فانطلق حيث أتاه كتابه -أي كسرى- فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبلي طيء.. فأراد النعمان طيناً على أن يدخلوه بين الجبلين ويمنعوه، فأبوا ذلك عليه وقالوا: لولا صهرك لقاتلناك، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى، ولا طاقة لنا به، فأقبل يطوف على قبائل العرب ليس احد من الناس يقبله، غير ان بني رواحة بن سعد من بني عيس قالوا: إن شئت قاتلنا معك - لمنة كانت له عندهم- فقال: لا أحب أن أهلكم، فإنه لا طاقة

لكم بكسرى، فأقبل فنزل في ذي قار في بني شيبان سرّاً فلقي هائى بن مسعود الشيباني وكان سيداً منيعاً -

فأودع أهله وسلاحه هائى بن مسعود الشيباني- وعلم ان هائناً مانعه مما يمنع أهله ونفسه (10).

فتوجه إلى كسرى فأودعه السجن حتى مات في السجن فلما مات النعمان في السجن بعث كسرى إلى هائى بن

مسعود الشيباني لأخذ ما استودعه النعمان بن المنذر فرفض هائى الشيباني ذلك فأرسل كسرى بالنعمان بن

زرعة التغلبي وهو من المقربين من كسرى وكان يحب هلاك بكر بن وائل قبيلة بني شيبان ، فعرض على بني

شيبان إما أن تنزلوا على حكم كسرى أو الرحيل أو الحرب فلم يقبلوا إلا الحرب.

فأرسل كسرى جيشاً لمحاربتهم وكان الجيش الفارسي يضم فرساً وحلفانهم من القبائل العربية وبنو شيبان وبكر

بن وائل ومن حالفهم من العرب في الجانب الآخر.

وكان بنو شيبان ومن حالفهم من العرب قد عقدوا اجتماعاً لبحث الموقف، جاء في الطبري: (فتوامرو فولوا

أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن يسار العجلي، وكانوا يتيمينون به فقال لهم: لا ارى إلا القتال، لأنكم إن أعطيتم بأيديكم

قتلتهم وسبيت ذراريكم، وإن هربتم قتلتم العطش، وتلقاكم تميم فتهلككم)<sup>(11)</sup> فكان قرارهم الحرب.

(وكان بجيش كسرى قيس بن مسعود .. بن ذي الجدين ) وكان كسرى استعمله على طف سفوان- أن يوافقوا -

وقومه - إياساً وجاءت الفرس معها الفيول عليها الأساورة والجنود، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورق أمر فارس، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اليوم انتصفت العرب من العجم، فحفظ ذلك اليوم، فإذا هو

يوم الواقعة)<sup>(12)</sup>.

(وقد أرسلت إياد - وكانت في جيش كسرى- إلى بكر سرّاً أي الأمرين أحب إليكم؟ أن نظير تحت ليلتنا فنذهب أو

نقيم ونفر حين تلاقوا القوم؟ قالوا: بل تقيمون، فإذا التقى القوم انهزمت بهم، قال: فلما نشبت المعركة وولت

إياد منهزمة كما وعدتهم انهزمت الفرس)<sup>(13)</sup> وتأتى هذا الانتصار من:

1. الوقفة الشجاعة لبني شيبان وحلفانهم العرب.

2. كان بنو شيبان مدركين ان الهزيمة أمام كسرى أو النزول على حكمه معناه ضياع الرجال والمال والعرض

وان النزوح من الديار الموت عطشاً أو بأيدي تميم الذين كانوا معهم على خلاف حول الأرض والمرعى، فكان

ذلك حافزاً قوياً لثباتهم وحرصهم على النصر.

3. العطش الذي أصاب الجيش الفارسي بعد أن حرّمهم بني شيبان من الحصول على الماء.

4. تعاطف بعض القبائل العربية التي كانت في الجيش الفارسي وانسحاب قبيلة إياد من المعركة وبالتنسيق مع

بني شيبان وبشكل يوحي بانهزامهم.

5. موقف النساء العربيات ودعوتهم الرجال للحفاظ على أعراضهم وقد قالوا بذلك شعراً .. ( فقد قالت ابنة

القرين الشيبانية : وياها بني شيبان صفاً بعد صف ... إن تُهزَموا يضيفوا فينا القلف )<sup>(14)</sup>.

10 (2) أنظر: المصدر السابق 2051.

11 (1) أنظر: الطبري: تاريخ 1/206-205.

12 (2) أنظر: المصدر السابق 207-208.

13 (3) أنظر: المصدر السابق 208-209.



## أما الوجه الآخر للمقاومة فقد تجلّى

رفض بعض من العرب الوجود الفارسي ولكنهم لم يستطيعوا المقاومة فغادروا العراق. جاء في الطبري: (ان اردشير عندما استولى على العراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته وان يدينوا له فخرج مَن كان معهم من قبائل قضاة فلحقوا بالشام إلى مَن هنالك من قضاة)<sup>(15)</sup>. وكان رفض النعمان بن المنذر ملك الحيرة تزويج بناته لأبناء كسرى تعبيراً عن موقف عربي اجتماعي يرى ان العجم مهما علت مكانتهم الاجتماعية ليسوا بأكفاء للنساء العربيات. كل هذه المواقف أبقت العراق عربياً بعيداً عن الذوبان في الكيان الفارسي وأبقت الفرس قوة أجنبية محتلة. هذه ملامح العلاقة العربية الفارسية في العهد الساساني قبل الإسلام.



14 (1) الطبري: تاريخ 42/2.

15 (2) المصدر السابق نفسه.

# الفصل الأول

العلاقة بين العرب المسلمين والفرس

منذ عهد الرسول الكريم ﷺ  
إلى عهدنا

وحتى مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام



# المبحث الأول

## العلاقة العربية الإسلامية على عهد الرسول ﷺ

### القرآن الكريم يتحدث عن الفرس والروم

كان الفرس قبل إسلامهم وثنيين مشركين يقدسون النار، جاء في السيرة النبوية ( فكان أهل إيران يستقبلون النار في صلاتهم .. وقد دان المجوس بالوثنية في كل عصر وأصبح ذلك شعاراً لهم، فأمنوا بالهين اثنين، أحدهما النور أو إله الخير، والثاني الظلام أو إله الشر) (16)، وكان الروم أصحاب كتاب يدينون بالنصرانية، وكانت حروب بين الفرس والروم، وانتصر الفرس على الروم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبشر المشركون في مكة، وعدوا ذلك برهاناً على إمكانية انتصارهم على المسلمين كما انتصر الفرس المشركين على الروم وهم أصحاب كتاب، فانزل الله سبحانه وتعالى آيات كريمات في مطلع سورة الروم تعلن ان الروم سينتصرون على الفرس، قال تعالى: ( غَلَبَتِ الرُّومُ & فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ & فِي بضع سنينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ & بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ & وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (17).

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ( نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فأظهر ملك الروم حتى أجهأ إلى القسطنطينة وحاصره فيها مدة ثم عادت الدولة على هرقل) (18).

## الرسول صلى الله عليه وسلم والإمبراطورية الساسانية

كان أول حديث للرسول صلى الله عليه وسلم عن الفرس عند لقائه بني شيبان بعد السنة الثالثة للبعثة النبوية الشريفة في موسم الحج في مكة المكرمة طالباً منهم نصرتهم لتبليغ دعوته التي بعثه الله بها إلى الناس كافة، فأجابه المثنى بن حارثة الشيباني قبل إسلامه قائلاً: (إن أحببت أن نؤويك مما يلي مياه العرب دون ما يلي أنهار كسرى وإنى أرى الأمر الذي تدعوننا إليه أنت مما يكرهه الملوك) فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

16 (1) الصلبي: السيرة النبوية، ص18.

17 (2) سورة الروم : آية 6 - .

18 (3) السيرة الحلبية2/151.

(ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم)<sup>(19)</sup>، وهذه أول إشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحتمية النصر على الفرس.

وكانت الإشارة الثانية عندما لحق سراقه بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة مهاجرين ليردهما إلى قريش فحيل بينه وبينهما، عندها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سراقه بن مالك كيف بك إذا لبست سوارى كسرى)<sup>(20)</sup>.

والإشارة الثالثة عند حفر الخندق في غزوة الأحزاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عندما ضرب صخرة في الخندق وانصدع وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ومن ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابهم قائلاً: ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاعت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب كلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها) هذه بعض بشائر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح والنصر.

## رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والزعماء

بعد أن حقق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الاستقرار في الجزيرة العربية واستقر الإسلام فيها واصل دعوته خارج الجزيرة العربية وكانت رسائله إلى الملوك والزعماء إحدى وسائله صلى الله عليه وسلم لنشر دعوة الإسلام فقد بعث برسائله إلى قيصر ملك الروم وإلى المقوقس حاكم مصر وإلى كسرى ملك فارس وغيرهم.

## رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى

نص رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وكما ذكرها الطبري في تاريخه ( "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً، اسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس" )، فمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مُزق ملكه"<sup>(21)</sup>.

(1) 19 السيرة الحلبية 151/2.

(2) 20 أنظر الإصابة في تمييز الصحابة 1920، رقم 3115.

(1) 21 الطبري: تاريخ 6542.

## رد كسرى على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم

كان عامل كسرى على اليمن باذان وقد أرسل إليه كسرى يأمره بإحضار النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل باذان رجلين لإحضار النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مع ذلك حرص على معرفة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فلما وصلا إلى المدينة طلب بابويه وهو أحد الرسولين من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي معهما إلى الملك باذان لبيعت به إلى كسرى وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإن أبيت فهو من قد علمت: فهو مهلك ومهلك قومك، ومخرب بلادك، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارجعا حتى تأتياني غداً، واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل فدعاهما فأخبرهما وقال لهما: وقولا له -أي باذان- إن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء). ولما أخبرا باذان بذلك قال: والله ما هذا بكلام ملك، وإنى لأرى الرجل نبياً كما يقول. فلئن كان هذا حقاً فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فسنى فيه رأينا، فلم ينتظر طويلاً حتى قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بأنه قد قتل أباه فأسلم باذان وأسلم معه قومه<sup>(22)</sup>.

## البحرين تنظم إلى الدولة الإسلامية

وبعد اليمن أصبحت البحرين جزءاً من الدولة الإسلامية وذلك بإسلام المنذر بن ساوى الذي ولاه الفرس على العرب في البحرين، جاء في فتوح البلدان (وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس وكان بها خلق كثير من العرب.. وكان على العرب فيها من قبل الفرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن ساوى.. فلما كانت سنة ثمان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهله إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى مرزبان هجر يدعوها إلى الإسلام أو الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم، فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتاباً جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين، صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر.. وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم ديناراً)<sup>(23)</sup> وجاء أيضاً في فتوح البلدان: (لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء)<sup>(24)</sup>. هذه أهم الأحداث التي جرت بين المسلمين والفرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) الطبري: تاريخ 652.

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص 89.

(2) المصدر نفسه: ص 90.

# المبحث الثاني

## المواجهة العسكرية منذ وفاة الرسول الكريم ﷺ

### وإلى ما قبل فتح الحيرة

#### تمهيد

بعد انتقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ومنذ بدء خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة 11 هـ احتدم الصراع بين المسلمين بقيادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والمرتدين مما أعاق انطلاق المسلمين إلى خارج شبه الجزيرة لنشر دينهم والجهاد في سبيل الله تعالى، وما ان انتهت حروب الردة واستقر الأمر للمسلمين في الجزيرة العربية حتى انطلق المسلمون للدعوة والجهاد إلى خارج جزيرة العرب وكانوا على تماس مع دولتي الروم في الشام والفرس في العراق.

#### الجهة الفارسية في العراق

وكان أول من تعرض للفرس بعد الانتهاء من حروب الردة المثنى بن حارثة الشيباني وكانت تصل أخبار جهاده إلى المدينة المنورة حتى تساءل عنه المسلمون في المدينة المنورة. جاء في فتوح البلدان: (قالوا: وكان المثنى بن حارثة يغير على السواد في رجال من قومه فبلغ أبا بكر الصديق رضي الله عنه خبره فسأل عنه، فقال له قيس بن عاصم المنقري: هذا رجل غير حامل الذكر، ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني، ثم ان المثنى قدم على أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله: استعلمني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس، فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً فسار حتى نزل خفان ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا) (25)، وخفان موضع قرب الكوفة.

## خالد بن الوليد يدخل العراق<sup>ط</sup>

اختلفت الروايات في قدوم خالد بن الوليد إلى العراق من المدينة المنورة أم قدم إلى العراق بعد تلقيه أمر الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أرض المعركة دون الرجوع إلى المدينة، وقد رجح بعض الباحثين العسكريين قدوم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العراق من المدينة.

جاء في قادة فتح العراق: (أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد يأمره بالسير إلى العراق، وقيل: بل قدم المدينة فسيره أبو بكر إلى العراق، وهناك مَنْ يؤكد ان خالداً قدم المدينة من اليمامة، ثم خرج منها إلى العراق، وهذا ما نرجحه، لأن تكليف خالد بمهمة شاقة كفتح العراق لا بُد أن يحتاج إلى الاتصال الشخصي بينه وبين أبي بكر بالمدينة للمذاكرة حول هذه المهمة، وتأمين كل متطلباتها العسكرية والإدارية)(26).

كان المثنى بن حارثة السباق في تهوين أمر الفرس على المسلمين وحثهم على فتح العراق، جاء في أسد الغابة: (المثنى بن حارثة .. سيره أبو بكر رضي الله عنه في صدر خلافته إلى العراق قبل مسيرة خالد بن الوليد وهو الذي أطمع أبا بكر والمسلمين في الفرس وهون أمر الفرس عندهم)(27).

## قرار أبي بكر بفتح العراق<sup>ط</sup>

أسند أبو بكر رضي الله عنه قيادة جبهة العراق إلى خالد بن الوليد بعد انتهاء خالد بن الوليد من حروب الردة، وأمر المثنى بالسمع والطاعة له.

جاء في تاريخ الطبري: (لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة كتب إليه أبو بكر رحمه الله إن فتح الله عليك فعارق حتى تلقى عياضاً وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النجاج والحجاز أن سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالداً وأذننا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمسكركه)(28)، وكما جاء في معجم البلدان "المصيخ بين حوران والقلت " ياقوت الحموي، 144/5.

26 (2) خطاب: محمود شيت، ص119.

27 (3) ابن الاثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة 2994.

28 (1) الطبري: تاريخ 3463.

## خالد بن الوليد في العراق<sup>ق</sup>

كانت الحيرة الهدف المركزي لخالد ولكن قبل الحيرة خاض خالد بن الوليد رضي الله عنه عدة معارك كبيرة وأخرى أقل أهمية، ودخل المسلمون قرى ومدن صلحاً بدون قتال، وكان خالد يدعو الجميع إلى خيار من ثلاث.. - الإسلام أو الجزية أو الحرب.

جاء في تاريخ الطبري: (ثم أقبل خالد بن الوليد ومن معه حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافهم مع قبضة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله والإسلام فإن أبيتم الجزية، فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم)(29).

وفي رواية أخرى: (إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام فإن قبلتم فلکم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جنتكم يقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر، فقالوا: لا حاجة لنا في حربك فصالحهم على تسعين ومائة ألف، فكانت أول جزية حملت من العراق، ثم نزل باتقيا فصالحه ببيصري بن صلوبا.. وكان صالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ففعلوا)(30).

وقد خاض خالد معاركه في العراق بثمانية عشرة ألف وهم ألفان كانا معه، والتحق به ثمانية آلاف من ربيعة ومضر، وثمانية آلاف كانوا في العراق قبل مقدم خالد بن الوليد وكانت أهم المعارك التي خاضها خالد بن الوليد مع الفرس وحلفائهم قبل رحيله إلى الشام.

## معركة ذات السلاسل سنة 12 هـ<sup>ق</sup>

سميت هذه المعركة بهذا الاسم بسبب استخدام الفرس السلاسل لربط جنودهم في المعركة لضمان عدم فرارهم، وكان قائد الفرس "هرمز" وهو يمثل الدهاء والمكر والاستعلاء الفارسي في نظرهم إلى العرب والاستهانة بهم.

جاء في تاريخ الطبري في وصف هرمز: (وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرج جواراً للعرب فكل العرب عليه مغيظ، وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا: أخبث من هرمز وأكفر من هرمز)(31)، وكان هرمز قد تم شرفه في أهل فارس وقد كتب خالد بن الوليد إلى هرمز رسالة قبل المعركة جاء فيها: (أما بعد، فأسلم تسلم أو اعتقد

29(2) المصدر السابق 3443، الحميري: محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار 208 □ 209.

30(1) الطبري: تاريخ 3453.

31(2) المصدر السابق 348:3.



لنفسك وقومك الذمة، وإقرار بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جنتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة(32).

ولكن هرمز لم يأبه برسالة خالد وذلك ان الفرس كانوا يعتقدون أن مجرد أن يفكر العرب بعدم الخضوع للدولة الفارسية تجاوزاً يستحق العقوبة بل التأديب بل أن كسرى كان رده على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن مزقها أن أمر عامله على اليمن أن يرسل إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم رجلين فقط ليأتوه برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف والعرب يخبرونهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب. ومع ذلك أراد هرمز أن ينهي المعركة وذلك بقتل خالد بن الوليد في أول المعركة بيده إذ دعاه للمبارزة أو غدرًا إذ هبى فرسانه لقتل خالد غيلة إن عجز هو عن قتله، ولكن النتيجة كانت مقتله هو وهزيمة جيشه بفضل الله ومن ثم بمبادرة من القعقاع بن عمر التميمي بعد اكتشاف محاولة الغدر من هرمز وجيشه. وقد توحى لنا محاولة الغدر بخالد بن الوليد أن هرمز كان حذراً ومقدراً للقوة العربية الإسلامية وللقيادة الفذة لخالد رضي الله عنه، وربما جاءت مخاوف الفرس من المسلمين بعد التغير الذي أحدثه الإسلام في العرب ومن ثم التغير الذي أحدثه العرب المسلمون في الجزيرة العربية وما حولها. جاء في تاريخ الطبري: (وأرسل هرمز من أصحابه بالغد ليغدروا بخالد فواطوه على ذلك ثم خرج هرمز، فنادى رجل ورجل: أين خالد؟ وقد عهد إلى فرسانه عهده، فلما نزل خالد نزل هرمز، ودعاه إلى النزول فنزل خالد فمشى إليه، فالتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وحملت حامية هرمز وغدرت، فاستلحموا خالدًا، فما شغله ذلك عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو وستلحم حماة هرمز فأناموهم، وإذا خالد يماصعهم وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتفاهم إلى الليل، وجمع خالد الرثاث وفيها السلاسل فكانت وقد بعير، ألف رطل، فسميت ذات السلاسل(33).

## وقعة المذار سنة 12 هـ

وكانت بين جيش خالد وجيش الفرس الذين جاءوا مدداً لهرمز وقد انضم إليهم الفارون من معركة ذات السلاسل وقد كان هرمز قد أرسل إلى الملك الفارسي "أردشير" يعطه بمقدم خالد بن الوليد فجهز اردشير جيشاً بقيادة قارن بن قريانس لنجدة هرمز ولكن معركة ذات السلاسل وقعت قبل وصول المدد وقتل هرمز وفرَّ مَنْ نجا من الفرس والتحقوا بمعسكر قارن، وكان هذا دافعاً آخر لهم للتصدي لخالد بن الوليد رضي الله عنه وجيشه وهم ممتلئون غيظاً لما حل بهم في ذات السلاسل.

جاء في تاريخ الطبري: (وقد كان هرمز كتب إلى أردشير وشيري بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيرة من اليمامة نحو فأمده بقارن بن قريانس، فخرج قارن من المدائن ممداً لهرمز حتى إذا انتهى على المذار بلغته الهزيمة، وانتهت إليه الفلال)(34) وقد توجه خالد لملاقاة قارن.

جاء في الطبري: (وخرج خالد سائراً حتى ينزل المذار على قارن في جموعه فالتقوا وخالد على تعبته فاقتتلوا على حنق وحفيظة .. وكان شرف قارن قد انتهى، ثم لم يقاتل المسلمون أحداً انتهى شرفه في الأعاجم)(35) وللفرس تقليد في مراتب الشرف عندهم ويتمثل ذلك أن قيمة القلنسوة التي يرتديها تشير إلى مرتبة شرفه. جاء في الطبري: (كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائهم، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف)(36)، (وقد انتهت المعركة بهزيمة الفرس ومقتل قارن وكبار معاونيه)(37).

## معركة الولجة

عندما انتهت إلى مسامع أردشير هزيمة قارن وجيشه في المذار أرسل جيشين؛ الأول بقيادة "الاندرزغر" وكان فارسياً من مولدي السواد ولم يكن ممن ولد في المدائن، والجيش الثاني بقيادة "بهمن جاذويه". جاء في تاريخ الطبري: (قالوا: لما وقع الخبر باردشير بمصاب قارن وأهل المذار أرسل الاندرزغر وكان فارسياً من مولدي السواد ومتنائهم أي الطارئ الغريب عنهم، ولم يكن ممن ولد في المدائن، وكان الاندرزغر قبل ذلك على فرج خراسان، فخرج الاندرزغر سائراً من المدائن حتى أتى كسكر ثم جازها إلى الولجة، وخرج بهمن جاذويه في أثره وأخذ غير طريقه، فسلك وسط السواد)(38).

## غور الاندرزغر

لما انطلق الاندرزغر من المدائن في طريقه إلى خالد واجتمع إليه أناس كثير قبل وصوله الولجة أعجبه ذلك ولم ينتظر قدوم بهمن جاذويه وجيشه حتى يدخل المعركة مع المسلمين.

(1)34 المصدر نفسه3513.

(2)35 الطبري: تاريخ2513-252.

(3)36 المصدر السابق3493.

(4) 37 المصدر السابق3513.

(1)38 المصدر السابق3533.

جاء في تاريخ الطبري بعد ذكره خروج بهمن جاذويه: (وقد حشر إلى الاندزغر من بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين فعسكروا إلى جانب عسكره بالولجة، فلما اجتمع إليه ما أراد واستم اعجبه ما هو فيه، وأجمع السير إلى خالد)(39).

ولما علم خالد بمقدم الفرس إلى الولجة توجه إليهم وجرت المعركة بينهم.

جاء في تاريخ الطبري بعد ذكر قدوم الاندزغر إلى الولجة: (وسمع بهم خالد فسار إليهم من الثني - وهو اسم آخر لوقعة المذار - فلقبهم في الولجة، وكمن لهم، فقاتلهم قتالاً شديداً أشد من الأول حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ واستبطأ خالد كمينه وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين عليهم بسر بن أبي رهم وسعيد بن مرة العجلي فخرجوا من ناحيتين وانهزمت صفوف الأعاجم وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم فقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى الاندزغر منهزماً فمات عطشاً)(40).

## معركة أليس سنة 12 هـ

أصيب الكثير من نصارى العرب من بكر بن وائل في الولجة مع الاندزغر غضب لهم قومهم فأرادوا الانتقام لهم بالتعاون مع الفرس.

جاء في الكامل: (لما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس واجتمعوا على أليس، وعليهم عبد الاسود العجلي، وكان مسلمو بني عجل... أشد الناس على أولئك النصارى)(41)، وكان قائد الفرس بهمن جاذويه قد أمر "جaban" بالإسراع للحاق بالعرب النصارى ومن معهم من الفرس في أليس وأن ينتظر مقدمه، لكن خالد بن الوليد لم يمهل حتى مقدم بهمن جاذويه وكان أردشير قد أمر بهمن جاذويه على الجيش.

جاء في الكامل: (وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه وهو بقيناثا يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدم بهمن جاذويه جaban إليهم وأمره بالتوقف عن المحاربة إلى أن يقدم عليه .. وكان خالد لما بلغ تجمع نصارى بكر، وغيرهم سار إليهم .. وانتهى خالد إليهم، وحط الأتقال، فلما وضعت توجه إليهم)(42)، وقد طلب خالد مبارزة القادة العرب في جيش الفرس فبرز إليه مالك بن قيس فقال له خالد: (يا بن الخبيثة ما أجراك علي من بينهم، وليس فيك وفاء فضربه فقتله خالد)(43).

39(2) المصدر السابق 3533.

40(1) ابن الأثير، 2412.

41(2) المصدر نفسه 2412.

42(3) المصدر نفسه 2412.

43(1) المصدر نفسه 2422.

## كبرياء الفرس واستخفافهم بالعرب

ولقد أراد الفرس إظهار الاستهانة بالعرب فقدموا الطعام على القتال، ولما بدأ خالد بالقتال أراد جابان أن يسموا الطعام فعصوه استخفافاً بالمسلمين، وأملاً بمقدم بهمن جاذويه وكان جابان قد أصابه الخوف. جاء في الكامل بعد ذكره مقتل مالك بن قيس على يد خالد بن الوليد: (وأعجل الأعاجم عن طعامهم -أي خالد قبل أن يأكلوه- فقال لهم جابان: ألم أقل لكم والله ما دخلتني من مقدم جيش وحشة إلا هذا؟ وقال لهم جابان: حيث لم تقدروا على الأكل فسموا الطعام فإن ظفرتهم فأيسر هالك وإن كانت لهم هلوكوا بأكله فلم يفعلوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، والمشركين يزيدهم كلباً وثبوتاً توقعهم قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين، فقال خالد: إن هزمتهم فعليّ أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمانهم نهرهم، فانهزمت فارس).

وقد أراد خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يبر بيمينه بقتل الأسرى فقال القعقاع وكما جاء في الكامل: (لو قتلت أهل الأرض جميعاً لم يجر دمانهم فأرسل عليها الماء تبر بيمينك ففعل وسمي نهر الدم)(44). وقد أنكر الجنرال الباكستاني أ. أكرم أن رواية نهر الدم بالصورة التي صورت بها قال: (لقد حرقت قصة نهر الدم وبولغ في تفاصيلها بشكل خارج عن المؤلف من قبل بعض الكتاب.. علاوة على ذلك فإن تسمية ما حدث بأنه قتل للأسرى هو أمر فيه شيء من المغالاة فقياساً على ما حدث وما سيحدث فيما بعد فإن هؤلاء قتلوا أثناء المطاردة)(45).

لقد استهان الفرس بمقدم المسلمين وأرادوا إظهار الاستخفاف بهم فبسطوا الطعام بعدما قالوا لقائدهم جابان: (أنعاجلهم أم نفذي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ثم نقاتلهم بعد الفراغ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم فعصوه ووضعوا الأطعمة، وتداعوا إليها ولكن خالد أنشب القتال فتركوا الطعام وبعد انتهاء المعركة وهزمتهم بفضل الله تعالى وقف خالد على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه فعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يقول: ما هذه الرقاق البيض؟ وجعل من قد عرفها يجيبهم ويقول مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش؟ يقولون: نعم، فيقولون: هو هذا)(46).

قال تعالى: (كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنّاتٍ وَعَيونٍ & زُرُوعٍ وَمَقامٍ كَريمٍ & وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيها فاكِهِينَ & كَذَلِكَ وَأَوْرَثناها قَوْمًا آخَرينَ) الدخان: 25-28.

44 (2) المصدر نفسه 2422.

45 (3) سيف الله: خالد بن الوليد 288-289.

46 (1) ابن الأثير، 243-2422.

لقد انتهت معركة أليس بهزيمة منكرة للفرس ولكن جابان أفلت من الموت في هذه المعركة وأفلت من الأسر بحيلة في معركة أخرى.

## معركة أمغيشيا سنة 12 هـ<sup>ق</sup>

كانت أمغيشيا مصراً كبيراً وكانت تقارب الحيرة في حجمها وسكانها وفي غناها وكثرة أسواقها. جاء في الطبري وصفاً لها: (وكانت مصراً كالحيرة وكان فرات بادقلي ينتهي إليها وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قط، وقال: لم يصب المسلمون بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا) (47).

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين بلغه ذلك في أشادته بخالد بن الوليد رضي الله عنه: ( يا معشر قريش - يخبرهم بالذي أتاه- عدا أسدكم على الأسد فقلبه على خراذيله - قطع لحم مفرد خردوله - أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد ) (48).

وكان سبب كثرة الغنائم أولاً: وفررة ما بها كما سلف، وثانياً خوف سكانها من المسلمين، وقال الجنرال أ. أكرم واصفاً عظمة الغنائم التي استولى عليها المسلمون: ( ويعتقد ان الغنائم التي أخذت من أمغيشيا تعادل جميع الغنائم التي تم الاستيلاء عليها في المعارك الأربعة السابقة في العراق ) (49).

وأما أحمد عادل كمال تحدث عن إستراتيجية خالد وأسلوبه في مواصلة معاركه قائلاً: (وذلك أن خالد بعد أن فرغ من أليس أراد أن لا يمنح العجم فرصة، ومن مبادئ الحرب المطاردة لمتابعة استغلال النجاح - وتابع متحدثاً- وكان من أهم ما يميز خالد خفة حركته وقدرته على التحرك السريع فنهض من أليس فأتى أمغيشيا، وكان كثير من أهلها قد قتل في أليس... وأراد خالد أن يهرب أعداءه ويهون شأن سلطانهم في أعين أهل السواد فأمر بهدم أمغيشيا) (50).

47 (2) الطبري: تاريخ 3583.

48 (1) المصدر السابق 3583.

49 (2) سيف الله: خالد بن الوليد، ص 291.

50 (3) الطريق إلى المدائن، ص 238 □ 239.

# المبحث الثالث

## من فتح الحيرة إلى مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام

### فتح الحيرة سنة 12 هـ

بعد استيلاء خالد بن الوليد رضي الله عنه على أمغيشيا لم يبق أمامه إلا الحيرة وقد أدرك مرزبان الحيرة الازاذبة ذلك وأخذ يتهيأ للمواجهة واتخذ معسكراً خارج الحيرة، وكان الازاذبة قد بلغ نصف الشرف أي اقيمة قنسنوته خمسين ألفاً وأرسل ابنه كقوة متقدمة وسعى إلى عدم استخدام خالد لنهر الفرات لتقدمه وذلك بتغيير مجراه.

جاء في تاريخ الطبري بعد ذكره لما فعل خالد في أمغيشيا: (علم الازاذبة أنه غير متروك فأخذ في أمره وتهيأ لحرب خالد، وقدم ابنه ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة وأمر ابنه بسد الفرات، ولما استقل خالد من أمغيشيا وحمل الرجل في السفن مع الأنفال والأثقال، لم يفاجأ خالد إلا والسفن جوانح فارتاعوا لذلك فقال الملاحون: ان أهل فارس فجروا الأنهار فسلك الماء غير طريقه فلا يأتينا الماء إلا بسد الأنهار فتعجل خالد في خيل ابن الازاذبة) (51)، فقتل ابن الازاذبة وأعاد النهر إلى مجراه وقد أتى الخبر بموت الإمبراطور اردشير. فما كان من الازاذبة إلا الهرب بعد سماعه بمقتل ابنه وموت اردشير.

جاء في تاريخ الطبري: ( لما أصاب خالد ابن الازاذبة على فم فرات بادقلي، قصد الحيرة واستلحق أصحابه، وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف وقد قطع الازاذبة الفرات هارباً من غير قتال، وانما حداه على الهرب أن الخبر وقع عليه بموت اردشير ومصاب ابنه وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض) (52).

وقد أصبح مصير الحيرة بعد رحيل الازاذبة عنها مع جنده بيد العرب المقيمين فيها وكانوا يدينون بالمسيحية وكانوا في حصون أربعة تُسمى قصوراً وكان ملك الحيرة العربي إياس بن قبيصة الطائي، وقد أبى أهل الحيرة إلا القتال.

وكانت الحصون الأربعة تمتلك مقومات الصمود والمواجهة وكان في كل حصن قائد والملك في القصر الأبيض، وقد حاصر كل حصن قائد من المسلمين.

(1)51 الطبري: تاريخ 3593.

(1)52 المصدر نفسه 3593-360.

جاء في الكامل: (وكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض وفيه الملك إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر الغريين وفيه عدي بن عدي المقتول، وكان ضرار بن مقرن المزني محاصراً قصر ابن مازن وفيه ابن أطل، وكان المثنى بن حارثة محاصراً قصر ابن بقلية، وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقلية، فدعواهم جميعاً وأجلوهم يوماً وليلة، فأبى أهل الحيرة وقاتلهم المسلمون) (53)، واستمر القتال حتى أذعنوا لما أراهه المسلمون وذلك بعد نادى القسيسون والرهبان على من في القصر - وكانوا عرباً نصارى - يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم، فنادى أهل القصور المسلمين قد قبلنا واحدة من ثلاث، وهي: إما الإسلام أو الجزية أو المحاربة فكفوا عنهم.

وكان الصلح على أداء الجزية وتسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل.  
جاء في الكامل: (وأبى خالد أن يصلحهم إلا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل فأبوا، فقالت لهم: هونوا وأسلموني فإني سأفتدي، ففعلوا فأخذها شويل فافتدت منه بألف درهم، فلامه الناس، فقال: ما كنت أظن أن عدداً أكثر من هذا.

وكان سبب تسليمها إليه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة، سأله شويل: أن يعطي كرامة ابنة عبد المسيح وكان رآها شابة فمال إليها فوعده النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعده النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلمها إليه، فسلمها خالد إليه وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألف، وقيل على مائتي ألف وتسعين ألف، وأهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبلها أبو بكر من الحيرة، وكتب إلى خالد أن يأخذ منهم الجزية ويحسب لهم الهدايا)، من أصل الجزية فهي إذاً أصبحت جزءاً من الجزية، وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالداً كتباً) (54).

جاء في الطبري .. كتاب خالد بن الوليد: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً ابني عدي بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وجبير بن أكال وهم نقباء الحيرة وامروهم به، وعاهدهم على تسعين ألف ومائة ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا، رهبانهم وقسيسيهم إلا من كان على غير ذي يد حبيساً عن الدنيا، تاركاً لها أو سائماً تاركاً للدنيا، وعلى المنعة فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم، وان غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة، وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة، ودفعت إليهم الكتاب) (55).

53 (2) ابن الأثير، 2432.

54 (1) المصدر نفسه 2442.

55 (2) الطبري: تاريخ 3643.

## أهمية فتح الحيرة<sup>ق</sup>

كانت الحيرة مركز السلطة العربية في العراق لذا فإن فتح الحيرة نهاية مرحلة من الصراع العربي الإسلامي- الفارسي هامة مهدت لحملة أخرى انتهت بمعركة القادسية وانحسار النفوذ الفارسي عن العراق، جاء في الطريق إلى المدائن: (كان لفتح الحيرة آثار بعيدة؛ فقد كانت الحيرة أول عاصمة من عواصم الأقاليم التي يحكمها بنو ساسان تسقط في أيدي المسلمين، وحاضرة متقدمة في الطريق إلى المدائن، لم يكن عامة سكانها من العجم ولكن هذا لا يقلل من أهميتها وأهمية فتحها .. فسقوطها كان له الأثر المعنوي الذي يناسبه في نفوس الفرس والمسلمين على السواء، فضلاً عن ذلك فهي قاعدة تموينية تمد جيش المسلمين بكل ما يلزمه من لحوم وألبان وتمور وحبوب وعلف، هذا فضلاً عن ما للحيرة من ميزة إستراتيجية نظراً لموضعها في العراق، فهي موطن قدم مناسب لقفزة هجومية أخرى نحو الهدف الأكبر فضلاً عن ميزات التي يمنحها لها موضعها من تخوم الصحراء، فهي طريق انسحاب وخط رجعة إذا لزم الأمر)(56).

ولقد صور الطبري شدة قتال الفرس وما لاقاه المسلمون في حربهم فقال: (لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن، ثم انصرف وقال: لقد قاتلت يوم مائة فانقطع في يدي تسعة أسياف، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس)(57).

## بعد الحيرة<sup>ق</sup>

وهن أمر الفرس بعد الحيرة فيما بين الحيرة والمدائن وكان الكثير ينتظرون مصير الحيرة ليكون لهم رأي يعتمدونه، فلما انتهى أمر الحيرة إلى الصلح جاءه - أي خالد- سالوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف وباقي الدهاقين في منطقة عمليات خالد وصالحوه وكتب لهم بذلك كتباً.

فقد كتب إلى سالوبا كتاباً في الصلح وكما جاء في الطبري: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه، اني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد بانيقيا وبسما جميعاً، على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة القوي على قدر قوته، والمقل على قدر إقلاله في كل سنة وانك قد نُقبت - أي أصبحت نقيباً- على قومك، وان قومك قد رضوا بك، وقد قبلت ومن معي من المسلمين، ورضيت ورضي قومك، فلك الذمة والمنعة، فإن منعناكم فلنا الجزية، وإلا فلا حتى نمنعكم، شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو وجريز بن عبد الله الحميري، وحنظلة بن الربيع، وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر)(58).

(1) 56 كمال: أحمد عادل، ص 263.

(2) 57 الطبري: تاريخ 367- 368.

(1) 58 الطبري: تاريخ 368- 369.



وقد أقبل عدد من الدهاقين وصالحوا خالد على دفع الجزية وكتب لهم بذلك كتباً، ومن ثم تحرك خالد بن الوليد وأرسل أمراء جيشه في اتجاهات عدة، وأرسل عماله لقبض الجزية ممن صالح خالد منهم وئيمة النصري إلى الفلاليج وجريز بن عبد الله إلى بانقيا وبشير بن الخصاصية على النهريين ونزل الكويقة وغيرهم. (وأرسل إلى الثغور كل من ضرار بن الأزور وضرار بن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن مقرن والقعقاع بن عمرو وبسر بن أبي رهم وعتيبة بن النهاس، فنزلوا على السيب فهؤلاء ثغور خالد وأمرهم خالد بالغارة والالاح فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة) (59).

وقد أرسل خالد إلى أهل فارس بعد أن غلب على أحد جانبي السواد بكتابين أحدهما إلى الخاصة والآخر إلى العامة مع رجلين أحدهما حيري والآخر نبطي.

وكان اسم الحيري مرة فقال له خالد: خذ الكتاب فأت به أهل فارس لعل الله أن يمر - أي يجعله مرأً - عليهم عيشهم أو يسلموا أو ينيبوا، وكان اسم الآخر هزقيل فقال له: فخذ هذا الكتاب وقال: اللهم أزهق نفوسهم. وكان كتابه إلى الخاصة وكما جاء في الطبري: (بسم الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس، أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم فأدخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وانتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) (60).

وقد كتب خالد إلى العامة - إلى رؤسائهم - (بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس، أما بعد فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا مني الذمة، وأدوا الجزية وإلا فقد جئتمكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر) (61).

وقد أصاب الفرس بموت ملكهم اردشير الفرقة واختلفوا إلا أنهم كانوا مجتمعين على قتال خالد متساندين، وكانوا بذلك سنة.

وكان المسلمون من الحيرة إلى ما دون دجلة وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر. ولم يكن لأهل فارس ذمة إلا من كاتبهم خالد، أما سائر أهل السواد جلاء ومتحصنون ومحاربون، واكتتب عمال الخراج وكتبوا البراءات لأهل الخراج من نسخة واحدة - وهي - (بسم الله الرحمن الرحيم، براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم الأمير خالد بن الوليد، وقد قبضت الذي صالحهم عليه خالد والمسلمون لكم يد على من بدل صلح خالد، ما أقرتم بالجزية وكففتهم، أمانكم أمان، وصلحكم صلح، نحن لكم على الوفاء واشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم: هشاماً والقعقاع وجابر بن طارق وجريراً، وبشيراً وحنظلة، وازداد والحجاج بن ذي العنق، ومالك بن زيد) (62).

59 (2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 2442.

60 (1) الطبري: تاريخ 3703.

61 (2) المصدر نفسه 3703.

62 (1) الطبري: تاريخ 3703-371.

وكان الفرس في حيرة وارتباك من أمرهم بعد موت أردشير إذ أن شيري عند استيلاءه على السلطة قتل كل من خشي منهم المنافسة على الملك بما فيهم اخوته، فلم يجد الفرس من يملكونه عليهم بعد اردشير من ولد كسرى، وقتل الفرس بعد ذلك آخرين.

جاء في الطبري: (وأقام خالد في عمله سنة، ومنزله الحيرة يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام وأهل فارس يخلعون ويملكون، وذلك ان شيري بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباد ووثب أهل فارس بعده وبعد اردشير، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباد وبين بهرام جور، فبقوا لا يقدرين على من يملكونه ممن يجتمعون عليه)(63).

وقد خاض خالد والمسلمون معارك مع الفرس بعد الحيرة انتهت كلها بالنصر للمسلمين، ومن هذه المعارك:

## معركة الانبار سنة 12 هـ

حاصر خالد بن الوليد الانبار وكان أهلها قد حفرُوا خندقاً قبل وصول المسلمين حماية لحصنهم وصاحب الانبار فارسي يدعى شيرزاد عنده الرغبة في عقد الصلح مع المسلمين، أما خالد بن الوليد فقد خرج في تعبته التي خرج فيها من الحيرة وعلى مقدمته الأقرع بن حابس.

جاء في الطبري: (خرج خالد بن الوليد في تعبته التي خرج فيها من الحيرة، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، فلما نزل الأقرع على أهل الانبار وجدهم قد تحصنوا وخندقوا عليهم، وأشرفوا من حصنهم، وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسوده -أي صاحب عقل وسيادة وحكمة- وأقنعه في الناس:

العرب والعجم فتصايح عرب الانبار يومئذ من السور، وقالوا: صباح الانبار شر .. فقال شيرزاد: ما يقولون؟ ففسر له، فقال: أما هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم، وذلك ان القوم إذا قضوا على أنفسهم قضاء كاد يلزمهم، والله لئن لم يكن خالدًا مجتازاً لأصالحنه فبينما هم كذلك قدم خالد على المقدمة، فأطاف بالخندق وأنشبت القتال،

وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به، وتقدم إلى رماته فأوصاهم وقال: إنني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا، ففقى ألف عين يومئذ فسميت تلك الوقعة ذات العيون، وتصايح القوم: ذهبت عيون أهل الانبار، فقال شيرزاد ما يقولون؟ ففسر له فقال: أباذ أباذ □ كلمة

فارسية معناها برك الله- فراسل خالدًا في الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسله فأتى خالد أضيق مكان في الخندق بردايا الرذية الناقة المهزولة من السير -المتعبة- الجيش فنحرها ثم رمى بها فيه فأفعموه أي أصبح جسراً، ثم اقتحم الخندق - والردايا جسورهم- فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق، وأرز القوم إلى

حصنهم، وأرسل شيرزاد إلى خالدًا في الصلح على ما أراد فقبل منه)(64) وبعد أن استقر خالد في الانبار صالح من حولها فاطمأن له الأمر في تلك المناطق وتوجه بعد ذلك إلى عين التمر.

63 (2) المصدر السابق 3713.

64 (1) الطبري: تاريخ 3743.

كانت القوات المرابطة في عين التمر فارسية وعربية موالية للفرس ولم يكن بينهم انسجام وتعاون، جاء في الطبري: (ولما فرغ خالد من الانبار واستحكت له، استخلف على الانبار الزربقان، بن بدر وقصد لعين التمر وبها يومئذ مهرا بن بهران جوبين في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من التمر وتغلب وإباد ومّن لأفهم.

## ٢٥ الفرس والعرب الموالين لهم

أراد العرب أن يواجهوا العرب المسلمين فرحب بذلك الفرس أملين أن يضعف المسلمين وتنهك قواهم في مواجهتهم للعرب الموالين للفرس ومن ثم يدخلوا معهم في معركة يكون المسلمون هم الأضعف فيها. جاء في تاريخ الطبري: (وقصد -أي خالد- لعين التمر وبها يومئذ مهرا بن بهران في جمع عظيم من العجم وقال عقة بن أبي عقة لمهران: ان العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، قال: صدقت، لعمرى لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم لمثلنا في قتال العجم، فخدعه واتقى به، وقال: دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعانكم، فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب؟ فقال: دعوني فإني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشر لهم، إنه قد كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهينوا، فتقاتلهم وهم مضعفون ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي)(65).

وقد بين اللواء محمود شيت خطاب رحمه الله ان هذا الموقف من مهرا بن دليل على عدم التعاون بين الفرس والعرب وإلى سوء رأي مهرا بن وسوء إدارته للمعركة، وربما يمكن إضافة شيء هو ان مهرا بن كان منهزماً في داخله فكان يأمل أن يحقق العرب الموالين له نصراً على المسلمين لكنه طلب السلامة بالهرب دون مواجهة خالد بعد هزيمة حلفاءه وكما سيأتي:

قال محمود شيت خطاب رحمه الله: (وهذا دليل على عدم التعاون بين قوات العرب وقوات العجم، إذ كان العجم يفكرون بمصلحتهم أولاً ولم يكونوا بعيدى النظر يقدرّون أسوأ الاحتمالات، وهي إن العرب إذا فشلوا سيبقى العجم على انفراد)(66)، وكانت نهاية المعركة أسر عقة وأسر الكثير من جنده وانهزام الباقين بدون قتال فما كان من مهرا بن عندما جاءه الخبر إلا الهرب مع جنده، وتحصن الفارون من جند عقة في الحصن على أمل أن يتركهم خالداً ظناً منهم أن يكتفي بالغنائم، ولكنه أراهم من العزيمة على أن ينزلوا على حكمه فنزلوا.

(I)65 المصدر السابق 3763.

(I)66 خطاب: محمود شيت، قادة فتح العراق والجزيرة.

جاء في الكامل: (وسار عقة إلى خالد فالتقوا فحمل خالد بنفسه على عقة، وهو يقيم صفوفه فاحتصنه، وأخذه أسيراً وانهزم عسكره من غير قتال، فأسر أكثرهم فلما بلغ الخبر مهرا ن هرب في جنده وتركوا الحصن، فلما انتهى المنهزمون إليه تحصنوا به فنازلهم خالد فطلبوا منه الأمان، فأبى فنزلوا على حكمه فأخذهم أسرى)(67).

## معركة دومة الجندل سنة 12 هـ<sup>ق</sup>

بعد فراغ خالد من عين التمر توجه إلى دومة الجندل بعد تلقيه طلباً من عياض بن غنم لتجديته، وكان في دومة الجندل زعيمين، هما أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة، وكان رأي أكيدر أن يصالح الناس خالداً قاتلاً: (أنا أعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائراً منه ولا أحد في الحرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قتلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أملككم على حرب خالد فشانكم)(68).  
جاء في الكامل في التاريخ: (وعندما نزل خالد دومة الجندل جعلها بينه وبين عياض.. فلما اطمئن خالد خرج إليه الجودي في جمع ممن عنده من العرب لقتاله، وأخرج طائفة أخرى لعياض فهزمهم، فهزم خالد من يليه وأخذ الجودي أسيراً وانهزموا إلى الحصن.. ثم أخذ الحصن قهراً فقتل المقاتلة وسبى الذرية والسرحة)(69) وهكذا انتهت معركة دومة الجندل والتي كانت بين العرب المسلمين وبين حلفاء الفرس من العرب بهزيمة المشركين وأسرى قاندهم ومقتل معظم جيشه.

## الحصيد والخنافس سنة 12 هـ<sup>ق</sup>

وأقام خالد بدومة الجندل فظن الفرس أن ذلك ضعفاً من خالد فأطمعهم فيه وكذلك أراد العرب حلفاء الفرس الثأر لعقة، جاء: (وقد كان خالد أقام بدومة فظن الأعاجم به وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقة، فخرج زرمهر من بغداد ومعه روزبه يريدان الانبار فكتب الزبرقان وهو على الانبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وامره بالحصيد وبعث عروة بن الجعد البارقي وامره بالخنافس وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من ربيعة.. ولما علم خالد بمقدم العرب المتحالفين مع الفرس وان الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثني وبالبيشر في عسكر غضباً لعقة يريدان زرمهر وروزبه.. بعث خالد القعقاع إلى حصيد وبعث أبا ليلى إلى الخنافس.

67 (2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 2462.

68 (3) الطبري: تاريخ 3783.

69 (1) ابن الأثير: المصدر السابق 2472.

فلما رأى القعقاع أن زرمهر وروزبه لا يتحركان سار نحو الحصيد فلما رأى روزبه ان القعقاع قد قصد نحوه استمد زرمهر فأمدته بنفسه، فالتقوا بحصيد فاقتتلوا، فقتل الله العجم مقتلة عظيمة وقتل القعقاع زرمهر وقتل روزبه قتله عصمة بن عبد الله من بني ضبة .. وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة وآزر فلان -الهاربون- حصيد إلى الخنافس فاجتمعوا به .. وكان في الخنافس المهبودان .. وسار أبو ليلى بن فدكي بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس، فلما أحس المهبودان بقدومهم هرب ومن معه إلى المصيخ، وبه الهذيل بن عمران ولم يُلق بالخنافس كيداً(70).

## وقعة المصيخ سنة 12 هـ

وصلت إلى خالد أنباء هزيمة الجيش الفارسي في الحصيد وانسحاب الفرس من الخنافس إلى المصيخ فأمر خالد بعض قادته بالتمركز حول المصيخ والهجوم ضمن خطة محكمة لمفاجأة العدو، جاء في الكامل: (ولما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع وأبي ليلى وأعد وعروة ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ .. وخرج خالد من العين قاصداً إليهم .. فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل في ناس قليل وكثر فيهم القتل)(71)، وقد أوضح الجنرال أ. أكرم خطة خالد عند اقتحامه المصيخ بقوله: (وقد تم تحديد مكان العسكر الفارسي في المصيخ بدقة بواسطة عيون خالد، ومن أجل التعامل مع هذا الهدف خطط خالد لتنفيذ مناورة من النادر أن ينفذ مثلها في التاريخ، وهي صعبة من حيث السيطرة والتعاون، وتتلخص هذه المناورة بشن هجوم في آن واحد ومن ثلاث اتجاهات ليلاً.. وأصدر خالد في بادئ الأمر أوامره من أجل التحرك، إذ على الأولوية الثلاث أن تستقدم من أماكنها الحالية في الحصيد، والخنافس، وعين التمر، على ثلاث محاور منفصلة ومحددة مسبقاً بين الفرات وطريق الثني والزميل ثم تلتقي بليلة وفي ساعة محددة في مكان يبعد بضعة أميال قبل المصيخ، وتم تنفيذ هذا التحرك كما هو مخطط، واحتشدت الأولوية الثلاث في المكان المحدد، ولا يمكن تنفيذ مثل هذه المناورة بتوقيتها الدقيق إلا من قبل جيش رفيع المستوى، وهكذا تم تنفيذ هذه المناورة فقد نام الفرس والعرب باطمئنان لأن آخر التقارير أفادت بأن المسلمين ما زالوا على مسافة بعيدة ولا توجد ظواهر تدل على خطر هجوم مفاجئ، وكانت هذه آخر ليلة له في المصيخ، فقد علم الجيش الإمبراطوري فقط عندما انقضت ألوية المسلمين الثلاث على معسكر الفرس، ودبت الفوضى في صفوف الفرس وانتابهم

الخوف والفرع وبدؤوا يتراكمون في ظلام الليل واختلط الحابل بالنابل، وذبح الآلاف منهم، وأخذ المسلمون يضربون بشدة للقضاء على هذا الجيش قضاءً مبرماً كما قضوا على جيش أندرزغر في الولاية، ومع ذلك فقد استطاع عدد كبير من الفرس والعرب أن يهربوا تحت جناح الظلام الذي ساعد على تحقيق المفاجأة، وعندما أشرقت الشمس فوق الشرقي لم يبقَ محارب من الجيش الإمبراطوري على قيد الحياة في المصيخ، ولا نعرف مصير القائد مهبودان الفارسي، ولكن القائد العربي هذيل بن عمران تمكن من الفرار والتحق بقوات العرب النصارى في الزميل(72).

## الثني والزميل سنة 12 هـ

كانت خطة خالد بالهجوم على الثني من ثلاثة أوجه كما فعل بأهل المصيخ بعد ان اجتمع بها ربيعة بن بجير التغلبي، وكان طالباً لثأر عقة وواعد روزبة وزرمهر والهذيل، جاء في الطبري: (وقد نزل ربيعة بن بجير التغلبي الثني والبشر غضباً لعقة وواعد روزبة وزرمهر والهذيل، فلما أصاب خالد أهل المصيخ بما أصابهم به، تقدم إلى القعقاع وإلى أبي ليلي، بأن يرتحلا أمامه، وواعدهما الليلة ليتفرقا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه كما فعل بالمصيخ .. فبدأ بالثني واجتمع هو وأصحابه فبيته من ثلاثة أوجه .. فجردوا فيهم السيوف فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر واستبى السرح وبعث بخمس الله تعالى إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف الشيباني وقسم النهب والسبايا فاشترى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنت ربيعة بن بجير التغلبي فولدت له عمر ورقية، وكان الهذيل حين نجا أوى إلى الزميل إلى عتاب بن فلان، وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم -أي خالد- بمثلها غارة شعواء من ثلاثة أوجه فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها وأصابوا منهم ما شاءوا وقسم خالد فيهم في الناس وبعث بالأخماس إلى أبي بكر مع الصباح المزني .. ثم عطف خالد من البشر على الرضاب، وبها هلال بن عقة وقد أرفض عنه أصحابه حين سمعوا بدنوا خالد وانقشع عنها هلال فلم يلقَ كيداً بها(73).

72 (I) سيف الله: خالد بن الوليد، ص223-323.

73 (I) الطبري: تاريخ 3833.

## معركة الفراض سنة 12 هـ

كانت معركة الفراض آخر معركة لخالد في العراق وكانت على حدود الشام والجزيرة، وكان الجيش المعادي للمسلمين مكوناً من الفرس والروم والعرب المتحالفين معهم، جاء في الكامل: (ثم سار خالد من الرضاب إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وأفطر فيها رمضان لاتصال الغزوات، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم واجتمع معهم تغلب، وإياد، والنمر، وساروا إلى خالد فلما بلغوا الفرات قالوا له: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، قال خالد: اعبروا فعبروا أسفل من خالد وعظم في أعينهم وقالت الروم: امتازوا حتى تعرف اليوم من يثبت ممن يولي، ففعلوا فاقتتلوا قتالاً عظيماً وانهزمت الروم ومن معهم) (74).

وكانت الفرس والروم قد حذروا بعضهم بعضاً من مغبة المواجهة مع خالد بن الوليد وأن النصر سيكون للمسلمين وكان ذلك أول بوادر خذلانهم، جاء في الطبري: (فقاتلت الروم وفارس بعضهم لبعض، احتسبوا ملككم هذا رجل يقاتل على دين، وله عقل وعلم، والله لينصرن ولتخذلن، ثم لم ينتفعوا بذلك، فعبروا أسفل من خالد، فلما تماموا -اكتملوا- قالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أين يجيء؟ ففعلوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً ثم ان الله عز وجل هزمهم وقتل منهم خلق كثير، وكانت الواقعة في النصف من ذي القعدة سنة اثني عشرة) (75).

قال الجنرال أ. أكرم في تقويمه لمعارك خالد بن الوليد في العراق: (كانت إستراتيجية خالد في هذه الحملة وهي إستراتيجية لم يحد عنها أبداً تقضي بأن يخوض معاركه قريباً من الصحراء، بحيث تكون الطرق المؤدية إلى الصحراء مفتوحة أمامه في حالة اضطراره للتراجع، ولم تكن الصحراء ملجأ أميناً فقط لا يستطيع الفرس المغامرة في اقتحامها، بل كانت أيضاً منطقة تسمح بالتحرك السريع إلى أي هدف يختاره بسهولة ويسر، ولم يدخل خالد في عمق العراق إلى أن فقد الجيش الفارسي قدرته على تهديد الطرق المؤدية إلى الصحراء. أما إستراتيجية الفرس العسكرية فقد كانت متأثرة بالضرورة السياسية للدفاع عن حدود الإمبراطورية وأدى ذلك إلى أن يخوضوا معاركهم ضد المسلمين على الحدود بين الصحراء والأراضي الزراعية، كما كان يتمنى خالد، ولكنهم ضمن هذا التحديد السياسي اتبعوا أسلوباً سليماً وخططوا لتنفيذ تحشيدات كبيرة لقواتهم من أجل المعركة، فكان على قارن أن ينظم إلى هرمز، وبهمن إلى اندرزفر وروزبه وزرمهر إلى العرب النصاري في المصيخ والثني والزميل، ولو قدر لهذا التجمع أن يتم لغير مجرى الحملة، ولكن هذا التجمع لم يتم □ بحمد الله- فشكراً لخالد على تحركه السريع وعلى تخطيطه القاصي بخوض معاركه ضد الجيوش الفارسية الواحد بعد الآخر، في الزمان والمكان اللذين يختارهما.

وكان العاملان الهامان اللذان اعتمد عليهما خالد في تحقيق مناوراته وتحركاته الناجمة هما النوعية القتالية للمسلمين وخفة الحركة لقواته... ولا توجد معلومات مؤكدة عن قوة الجيوش الفارسية التي واجهها خالد في المعارك المختلفة، وكذلك لا توجد معلومات عن الخسائر التي تكبدها الطرفان فربما أرقام الخسائر التي ذكرتها عن الفرس قد تكون مبالغاً فيها.. وأما بالنسبة لخسائر المسلمين فهي قليلة نظراً لأن جيشهم بقي فاعلاً طيلة مدة الحملة(76).

غادر خالد بن الوليد العراق بعد كل هذه الانجازات العظيمة وعادت القيادة من جديد إلى المثني بن حارثة الشيباني.





## الفصل الثاني

من مغادرة خالد بن الوليد

إلى ما قبل معركة القادسية



# المبحث الأول

## من مغادرة خالد بن الوليد حتى معركة الجسر

### المتنى بن حارثة الشيباني بعد رحيل خالد بن الوليد إلى الشام<sup>ط</sup>

حدث تطور مهم بعد رحيل خالد بن الوليد إلى الشام مما أثر في الموقف العسكري فقد استقر امر الفرس على تتويج شهربراز بن اردشير امبراطوراً مما خفف من الاحتقان الداخلي في دولة الفرس وبدأ التحرك العسكري لمواجهة المسلمين واستعادت الأراضي التي استولوا عليها. وجاء في الكامل في ما فعله الشيباني بعد رحيل خالد إلى الشام: (وأما المتنى بن حارثة الشيباني فإنه لما ودع خالد بن الوليد أقام في الحيرة ووضع المسلحة وأذكى العيون، واستقام امر الفرس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهربراز بن اردشير به شهر يار سابور فوجه إلى المتنى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل، وكتبت المسالحي إلى المتنى باقباله فخرج المتنى من الحيرة نحوه وضم إليه المسالحي وجعل على مجنبيه المعنى، ومسعود أخواه والتقى ببابل)(77).

### كتاب شهربراز إلى المتنى ورد المتنى<sup>ط</sup>

(وكان كسرى شهربراز قد كتب إلى المتنى كتاباً يظهر فيه استخفافه بالعرب المسلمين يقول فيه: إني قد بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس، إنما هم رعاء الدجاج والخنازير ولست أقاتلكم إلا بهم، فكتب إليه المتنى: إنما انت احد رجلين ؛ إما باغ فذلك شركك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوك، وأما الذي يدخلنا عليه الرأي فاتكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدهم إلى رعاء الدجاج والخنازير، فتشائم الفرس من ذلك وجزعوا، وقالوا لملكهم: إنما جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم فإذا كتبت أحد فاستشر.

## هزيمة الفرس وأثر ذلك على وحدة كلمتهم

التقى المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان فيلهم يفرق المسلمين، فانتدب له المثنى ومعه ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون إلى المدائن. مات شهربراز لما انهزم هرمز جاذويه، واختلف أهل فارس وبقي ما دون دجلة بيد المثنى، وما كان من الفرس إلا أن اجتمعوا على ابنة كسرى دخت زنان ثم خلعوا ثم ملكوا سابور بن شهربراز وكان القائم بأمره الفرخزاد بن البزادان فقتل بمؤامرة من أزر مدخت بنت كسرى بعد أن أراد الملك سابور تزويجها له، وكانت كارهة لذلك قائلة للملك يا بن عم: أتزوجني عدي فلما لم يتراجع سابور عن ذلك تأمرت مع سياوخت الرازي وكان من فتاك العجم فقتله، ثم قتلت الملك سابور وأصبحت الملكة، هذا كان شأن دولة فارس بعد هزيمة المثنى لجيش الفرس بقيادة هرمز جاذويه(78).

أما المثنى فقد قدر الواقع على الأرض فأرسل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليمنه بمقاتلين لمواجهة الفرس، فلما أبطأ عليه أبو بكر سار المثنى إلى أبي بكر ليخبره خبر الفرس والمسلمين ويستأذنه بالاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فوجده مريضاً وقد أوصى بالخلافة بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن استشار كبار الصحابة فوافقوه على ذلك، وعند مقدم المثنى أوصى أبو بكر عمرًا قانلاً: (اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إنني لأرجو أن أموت يومي هذا فإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة، وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، فقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله)(79). ففعل وجهاز حملة من المدينة بقيادة أبو عبيد بن مسعود الثقفي.

(1) 78 ينظر: الطبري، تاريخ 413-413.

(1) 79 الطبري: تاريخ 4143.

## أبو عبيد بن مسعود الثقفي في العراق سنة 13 هـ

قاد أبو عبيد حملة من المدينة المنورة بأمر عمر بن الخطاب والتحق به متطوعون خاض بهم معاركه حتى استشهاده في معركة الجسر وأهمها:

### معركة النمارق سنة 13 هـ

بعد أن تم إعداد حملة أبي عبيد إلى العراق أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه المثنى أن يسبق أبا عبيد فوصل المثنى الحيرة قبل أبي عبيد بشهر وبعد وصول أبي عبيد إلى الحيرة اشتبك المسلمون مع الفرس في معركة النمارق التي أرادها رستم الذي تولى أمر أهل فارس أرادها أن تكون صدمة للمسلمين توقف تقدمهم. جاء في تاريخ الطبري: (وقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشر ولحقه أبو عبيد بعد شهر، فأقام المثنى بالحيرة خمس عشر ليلة، وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يشوروا بالمسلمين، ودس في كل رستاق رجلاً يثور بأهله، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل وبعث نرسي إلى كسكر، ووعدهم يوماً، وبعث جنداً لمصادمة المثنى، وبلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه وحذر وعجل جابان فثار ونزل النمارق. وتوالوا على الخروج، فخرج نرسي فنزل زندورد، وثار أهل الرستاق من أعلى الفرات إلى أسفله وخرج المثنى في جماعة حتى ينزل خفان لنلا يوتى من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدم إليه أبو عبيد، فكان أبو عبيد على الناس، فأقام بخفان أياماً ليستجمع أصحابه، وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير، وخرج أبو عبيد بعدما جمع الناس وظهرهم وتعبي .. فنزلوا على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم الله أهل فارس وأسر جابان)(80). وقد صور الصلابي الحشد الفارسي والهدف منه في أول مواجهة لهم مع أبي عبيد قائلاً: (وقد كانت هذه المعركة عقب وصول أبي عبيد وتولييه قيادة الجيوش من العراق وكانوا أراد الفرس أن يرهبوا أبا عبيد، أول من انتدب حتى يقهروا في نفسه إرادة الظفر ورغبة النصر، فأعدوا له القوى الداخلية، وعبنوا الجنود، ولقوا فيها المسلمين من خلفهم ومن بين أيديهم .. وكان قتالاً شديداً هزم الله فيه أهل فارس وأسر جابان القائد)(81).

(1) 80 الطبري: تاريخ 4483-449.

(2) 81 أنظر.. الصلابي: علي محمد، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، 365.

## وفاء أبي عبيد<sup>ق</sup>

ان للعرب من مكارم الأخلاق ما يجعلهم في مقدمة الأمم في ذلك وجاء الإسلام ليتم لهم ما نقص منها ويصلح ما فسد ويجعل من ذلك عقيدة يلتزم بها المسلم ديناً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، فهذا أبو عبيد يفي بما تعهد به جندي من جنوده ولو بخدعه من قائد معركة النمارق الفارسي جابان. جاء في الطبري: ( ونزل جابان النمارق فسار إليه أبو عبيد من خفان فالتقوا بالنمارق، فهزم الله تعالى اهل فارس وأصابوا منهم ما شاءوا وبصر مطر بن فضة وأبي برجل عليه حلى فتدا عليه فأخذاه أسيراً، فوجداه شيخاً كبيراً فزهد فيه أبي ورغب مطر في فدائه، فاصطلحا على ان سلبه لأبي وان اساره لمطر فلما خلص مطر به قال - أي جابان-: إنكم معاشر العرب اهل وفاء، فهل لك أن تؤمني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عمك وكذا وكذا؟ قال: نعم، قال: أدخلني على ملككم، حتى يكون ذلك بمشهد منه، فأدخله على أبي عبيد فتم له على ذلك فأجاز أبو عبيد .. وبعد ان عرفه بعض المسلمين أشاروا على أبي عبيد بقتله وأخبروه أنه الملك، فقال: إني أخاف الله ان اقتله وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم، فقالوا له: إنه الملك، قال: وإن كان لا أعدر فتركه. وكان مطر بن فضة - وهو ينسب إلى أمه - من ربيعة، وقد أشاروا على أبي عبيد بقتله قائلين له: هذا الملك جابان وهو الذي لقينا بهذا الجمع، فقال: ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة؟ أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ؟ معاذ الله من ذلك)(82).

## معركة السقاطية بكسر سنة 13 هـ<sup>ق</sup>

كانت كسر مقاطعة بهانرسي ابن خاله كسرى وهي قطيعة له، وكان له فيها النرسيان وهو نوع من التمر يحميه لا يأكله إلا ملك الفرس أو من أكرموه بشيء منه ولا يغرسه غيرهم، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس وان ثمرهم هذا حمى وأراد كل من بوران ورستم أن يحمله مسؤولية الدفاع عن مصالحه الخاصة وكذلك مسؤوليته في الدفاع عن دولتهم، فقالا له: اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكن رجلاً، وقد تحسب لذلك وكان معه ابنا خاله وهم ابنا خال كسرى ومعه من فر من النمارق. جاء في الكامل: (ولحق المنهزمون نحو كسر وبهانرسي وهو ابن خالة الملك وكان له النرسيان وهو نوع من التمر يحميه لا يأكله إلا ملك الفرس أو من أكرموه بشيء منه ولا يغرسه غيرهم، واجتمع إلى النرسي الفالة وهو في عسكره فسار إليهم أبو عبيد من النمارق، فنزل على النرسي بكسر وكان المثني في تعبيته التي قاتل فيها بالنمارق وكان على مجنبي نرسي بندوية وتيرويه ابنا بسطام خال الملك ومعه اهل باروسما والزوابي، ولما بلغ بوران ورستم هزيمة جابان بعثا الجالينوس إلى نرسي فعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسر

بمكان يدعى: السقاطية، فاقتتلوا في صحاري ملس قتالاً شديداً ثم انهزمت فارس وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره وأرضه وجمعوا الغنائم(83).

## أبو عبيد وجنده

لم يكن أبو عبيد ليستأثر بشيء دون جنده وحتى في الطعام، جاء في الطبري بعد ذكره هزيمة الفرس: (وجمع الغنائم فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً فبعث فيمن يليه من العرب فانتفلوا ما شاءوا وأخذت خزائن نرسي فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان، لأنه كان يحميه ويمالنه عليه ملوكهم، فاقتسموا فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسة إلى عمر وكتبوا إليه: ان الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحبينا أن تروها ولتذكروا إنعام الله وأفضاله، وبعد أن صالح أهل باروسما ونهر جوبر وكان عليهما فروخ وفروندا ذاء جاء فروخ وفروندا ذاء إلى أبي عبيد بآتية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها، فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها وقري لك قال: أكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون، فرده وقال: لا حاجة لنا فيه، بنس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دمانهم دونه فاستأثر بشيء يصيبه إلا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم وكان الفرس ينتظرون مجيء الجالينوس لعله يغير الواقع لصالح الفرس ولكن لما هزم الجالينوس وأصحابه ودخل أبو عبيد باروسما صنع لأبي عبيد طعام فأتي به، فلما رآه قال: ما أنا بالذي أكل هذا دون المسلمين! فقالوا له: كل فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وهو يوتى في منزله بمثل هذا أو أفضل، فأكل(84).

بل ان أبا عبيد كان هو وأبناءه واخوانه في المقدمة في مواجهة العدو حتى استشهد مع سبعة منهم كما سنرى في معركة الجسر ان شاء الله.

## وقعة الجالينوس

كان كل من بوران ورستم يأملان بنصر يحققانه بعد هزيمة الفرس في النمارق فأمدا نرسي بكسكر بالجالينوس لمواجهة المسلمين لكن أبا عبيد سبقه إلى نرسي وهزمه في السقاطية فانفرد أبو عبيد بالجالينوس فهزمه، جاء: (ولما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بنرسي، ثم يقاتل أبا عبيد فبادره أبو عبيد إلى نرسي فهزمه، وجاء الجالينوس فنزل باقياشاً من باروسما فسار إليه أبو عبيد وهو على تعبته فالتقوا بها فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وغلب أبو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيرة(85)).

هذه أشهر عمليات أبو عبيد في العراق قبل معركة الجسر وقد دخل الكثير من الفرس ومن والاهم من العرب في صلح مع أبي عبيد كما دخلوا قبله مع خالد بن الوليد طلباً للسلامة والأمان.

83 (1) أنظر .. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 284-285 ، وكسكر من أرض واسط قالوا تفسيرها أرض الشعير، الروض المعطار 500 ، النمارق موضع قرب الكوفة.

84 (1) الطبري: تاريخ 451-452.

85 (2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 285.

# المبحث الثاني

## معركة الجسر سنة 13 هـ

كان الجيش الذي غادر المدينة المنورة مع أبي عبيد إلى العراق ألف رجل وأصبح مع أبي عبيد قبل موقعة الجسر نحو عشرة آلاف مقاتل وهم الذين خرجوا معه من المدينة المنورة وممن لحق به من المسلمين عند مروره بهم وخاصة ممن ارتد ثم عاد وحسن إسلامه وكان هؤلاء من أشد الناس رغبة في الجهاد تكفيراً عن ذنوبهم وتعويضاً عما فاتهم من الجهاد في انطلاقة الفتح الأولى بعد الانتهاء من حروب الردة، وقد نفذ عمر بن الخطاب وصية أبو بكر الصديق رضي الله عنه بانتداب المسلمين مع المثني بن حارثة الشيباني، جاء في الطبري: (وكان أول شيء أحدثه عمر بعد موت أبي بكر من الليل، أن نادى الصلاة جامعة ثم ندبهم ففرقوا على غير إجابة من أحد ثم ندبهم في اليوم الرابع فأجاب أبو عبيد في اليوم الرابع أول الناس وتتابع الناس وانتخب عمر من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل أمر عليهم أبو عبيد .. ثم ندب أهل الردة فأقبلوا سراعاً من كل أوب فرمى بهم الشام والعراق)(86).

ان خطورة الموقف العسكري حملت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تجاوز القاعدة التي وصفها أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عدم الاستعانة بالقبائل التي ارتدت عن الإسلام في حروب التحرير، فلم يوافه أحد منهم إلا أرسله إلى جبهة العراق لنجدة المسلمين في قتالهم مع الفرس، وبذلك استطاع عمر رضي الله عنه أن يحشد طاقات الأمة جميعها.

وفي العودة إلى الروايات التاريخية في عدد من حضر من المسلمين المعركة نجد ان العدد بين تسعة آلاف وعشرة آلاف، جاء في الطبري في بيان ما حدث للمسلمين في معركة الجسر: (هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف)(87)، وفي الكامل في التاريخ الرواية نفسها وفي رواية أخرى للطبري: (وكان المثني في ثمانية آلاف، أربعة آلاف مم انتخب بعد دخول خالد وأربعة آلاف ممن كانوا معه ممن بقي يوم الجسر)(88)، أي ان العدد الذي شهد الجسر يقارب العشرة آلاف.

## قوات الفرس

ان عدد القوات الفارسية كبيرة بالنسبة لعدد القوات العربية الإسلامية ويتبين ذلك من خلال الروايات التي تعرض حاجة الفرس إلى نصر يعيد لدولتهم الهيبة ولجيشهم معنوياته لذا حرص رستم على تحقيق نصر على

(1)86 الطبري: تاريخ 4473- 448.

(1)87 المصدر نفسه 4583.

(2)88 ابن الأثير: الكامل في التاريخ 2882.

المسلمين في معركة ليعيد لدولة فارس الهيبة ولجيشه روحه المعنوية وذلك بعد هزائمهم في حروبهم السابقة مع المسلمين التي لم يكسبوا معركة واحدة منها، وقد نفذ صبر رستم عندما عاد الجالينوس منهزماً في آخر معركة بين الفرس والمسلمين قبيل معركة الجسر.

جاء في تاريخ خليفة: (فلما رجعت المرازبة إلى يزدجرد منهزمين شتمهم وأقصاهم ودعا بهمن جانويه بن فرهر ذا الحاجب، واعطاه سلاحاً كثيراً وحمل معه آلة حرب أوقاراً ودفن إليه الفيل الأبيض)(89)، وفي الطبري: (قالوا: ولما رجع الجالينوس إلى رستم ومن أفلت من جنوده، قال رستم: أي العجم أشد على العرب فيما ترون؟ قالوا: بهمن جانويه فوجهه ومعه فيله ورد الجالينوس معه وقال له: قدم الجالينوس، فإن عاد لمتلها فاضرب عنقه، فأقبل بهمن جانويه ومعه درفش كايان راية كسرى وكانت من جلود النمر، عرض ثمانية اذرع في طول اثني عشر ذراعاً)(90)، وفي مروج الذهب في سياق حديثه عن معركة الجسر: (وكان على جيش فارس في هذا اليوم جانويه ومعه راية فارس... وهي المعروفة بدرفش كاويان .. وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها بالأمر الشديد)(91).

وأما في الجانب الإسلامي فلم يستمع أبو عبيد إلى نصيحة كبار الصحابة الذين كانوا معه مخالفاً بذلك وصية عمر رضي الله عنه باستشارتهم، وقد أشاروا عليه بعدم العبور لأمرين، الأول: كثرة الفرس واستعدادهم، والثاني: أن عبورهم يفقدهم عنصر المناورة وحرية التقدم أو الانسحاب.

جاء في الطبري: (وقالوا - أي الفرس- إما ان تعبروا إلينا وإما ان نعبر، فحلف - أي أبو عبيد- ليقطعن الفرات إليهم وليمحصن ما صنع، فناشده سليط بن قيس ووجه الناس وقالوا: ان العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا وانهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء - أي الكثرة- والعدة بما لم يلقنا به أحد منهم ولقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فرة إلى كرة، فقال: لا أفعل واتهم سليط بالجبن -ورد عليه سليط- أنا والله أجزأ منك نفساً وقد أشرنا عليك بالرأي فستعلم)(92).

وقد ورد في المسعودي مثل ذلك، وجاء في رد سليط على إصرار أبو عبيد: (لولا أنني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني اسمع وأطيع وإن كنت قد أخطأت).

وكان رسول بهمن جانويه إلى أبي عبيد مردنشاخ الخصي وكان مدركاً لأهمية أرض المعركة وانها ستكون لصالح الفرس إذا ما عبر أبو عبيد وجيشه فقال ليستدرج أبا عبيد: (إن أهل فارس قد عيروهم فإزداد أبو عبيد محكاً)(93)، وكان هذا من مردنشاخ إثارة لأبي عبيد وهو لم ينقل بعد إلى الفرس قرار أبي عبيد ليرى رأيهم فيه ولكنه المكر والخديعة.

89) ابن خياط: خليفة الصغرى، ص2.

90) الطبري: تاريخ 4543.

91) المسعودي، 3172.

92) الطبري: تاريخ 4563.

93) المسعودي، 3163.



الأقرب إلى الصواب إذاً ان الجيش الفارسي أكبر عدداً من الجيش الإسلامي وواضح ذلك من خلال الهدف الكبير الذي أراد قادة الفرس تحقيقه وشعور بعض قادة المسلمين أن حشد القوات غير متكافئ مع العلم ان المسلمين:

1. لا يمكن أن يروا ان العدد المقارب لهم أو يفوقهم قليلاً خلافاً في استعدادهم للمعركة، وقد دخلوا في معارك سابقة مع اعداء كانوا أضعاف عددهم مثل بدر واليرموك، وفي القرآن الكرم وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين، والله سبحانه لا يخلف الميعاد، أن ينصرهم وإن كان العدد ضعفهم، قال تعالى: (.. فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَنَّةٌ صَابِرَةً يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (94)، وقد مر قول سليط بن قيس وأصحاب الرأي في جيش أبو عبيد وانهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة، وجاء معنى حفلوا في مختار الصحاح: ( حفل القوم باب ضرب واحتفلوا اجتمعوا واحتشدوا وعنده حفل من الناس أي جمع)(95)، وقد جاءوا واثقين من أنفسهم وقوتهم وعددهم مستخفين بالمسلمين، جاء في مختار الصحاح: (زهاء يزهو زهو أي تكبر .. وزهاه وازدهاه استخفه وتهاون معه)(96).

2. معنويات المسلمين عالية لما حققوه من انتصارات على الفرس.  
3. عدد خسائر الفرس ستة آلاف قتيل - أي نصف جيشهم وفق بعض الروايات- يجعلهم غير قادرين على تنظيم صفوفهم بهذه السرعة بعد مقتل أبي عبيد رضي الله عنه وخاصة أن من قاد المعركة بعده قاتل بشجاعة نادرة حتى الاستشهاد.

فعدد الجيش الفارسي على الغالب يفوق عدد الجيش الإسلامي كثيراً.

## تسمية المعركة

أطلق عدة أسماء على المعركة، منها:

- قس الناطف: وهو اسم شاطئ الفرات الشرقي الذي حدثت فيه المعركة.  
- المروحة: وهو اسم شاطئ الفرات الغربي الذي حدثت فيه المعركة.  
جاء في فتوح البلدان: (قس الناطف .. هو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، والمروحة موضع الفرات الغربي، وكانت موقعة بين الفرس والروم سنة 13 هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو)(97).

- الجسر: سميت يوم الجسر لوجود جسر يربط ضفتي الفرات الشرقية والغربية في المنطقة التي حدثت فيها المعركة، جاء: (قرقيسياً عرب كركيسيا وهو مأخوذ من كركس وهو اسم لارسال الخيل المسمى بالعربية الحلبة)(98).

(2)94 سورة الأنفال : آية6 .

(3)95 الرازي، ص144، باب الحاء.

(4)96 الرازي، ص277، باب الزاي.

(1)97 البلاذري، ص252، ابن الأثير: الكامل في التاريخ2862.

(2)98 الحموي: ياقوت، معجم البلدان3284.

## جغرافية المعركة

أرض المعركة منبسطة لا توجد عوائق طبيعية فيها سوى نهر الفرات وفروعه، والفرعان الرئيسان اللذان دارت بينهما المعركة هما فرعي النيل ونرسي، وهناك فروع أخرى وهي قريبة من الحيرة والكوفة. وكان للموقع الجغرافي لمعركة الجسر أثر كبير في نهاية المعركة على هذا الشكل وقد تنبه إلى ذلك سليط بن قيس وغيره ممن هم أكثر خبرة من أبي عبيد مما دعاهم إلى أن يطلبوا من أبي عبيد أن يدع الفرس يعبرون وأن لا يحصر المسلمين في مكان ضيق بين فرعي النهر إلا أنه استبد برأيه فأفقد المسلمين الكثير من القدرة على المناورة والاستجابة لتطورات المعركة.

## تاريخ المعركة

أجمع معظم المؤرخين أن معركة الجسر وقعت في سنة 13 هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكنهم اختلفوا في شهر وقوعها، هل وقعت في شهر رمضان أو شعبان؟ وفي دراسة قام بها أحمد عادل كمال حدد يوم 23 شعبان سنة ثلاث عشرة للهجرة يوم معركة الجسر وكانت دراسته مبنية على: (أن أبا بكر رضي الله عنه توفي 21 جمادي الآخرة 13 هـ، وكانت معركة اليرموك بعده بعشر ليالي أو عشرين ليلة حسب الروايات التاريخية، في حين كانت معركة الجسر يعد اليرموك بأربعين ليلة أي أن معركة الجسر كانت بعد وفاة أبي بكر الصديق بخمسين ليلة أو بستين ليلة، وعلى هذا فإما أن تكون بـ 13 شعبان أو ثلاث وعشرين شعبان سنة 13 هـ، وقد رجح ان المعركة وقعت يوم 23 شعبان وذلك لأن المثنى غادر المدينة المنورة في اليوم الخامس من وفاة أبي بكر ووصل الحيرة بعد عشرة أيام ولحق به أبو عبيد بعد شهر من وصوله وقد استجم في خفان مع جيشه وخاض أربعة معارك كبرى، هي: النمارق، والسقاطية، وباقياتا، والجسر، وتفصل بينهما مسافات انتقال تجاوز 500 كيلو متر) (99).

وما ذهب إليه أحمد عادل كمال أقرب إلى الصواب، وذلك:

1. لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يلتفت إلى جبهة الشام إلا بعد فراغه من تجهيز جيش العراق.
2. المسافة بين المدينة المنورة واليرموك تحتاج إلى عدة أيام حتى وصول رسول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى اليرموك بأمر عمر بتأمير أبي عبيدة الجراح على الجيش بدل خالد بن الوليد، وقد وصل رسول عمر قبل انتهاء المعركة.

## قبيل المعركة

وكما سبق ذكره فإن أبا عبيد بن مسعود تمسك برأيه بعبور النهر وازداد تمسكاً به بعد أن استفزّه مرد نشاه الخصي مبعوث الفرس إليه ليخيره بين عبوره النهر أو عبور الفرس قائلاً له: ان الفرس قد رموكم بالجبن ولقد غاب عن بال أبي عبيد وصية عمر له وتحذيره من خداع الفرس ومكرهم: (إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تقدم على قوم تجرءوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه، فأنظر كيف تكون؟ وأحرز لساتك، ولا تفشين سرك فإن صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يوتى من وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة) (100).

وكانت دومة امرأة أبي عبيد رأت رؤيا كانت سبباً في اختيار أبي عبيد لمن يخلفه إن هو استشهد ويبدو من ذلك ان أبا عبيد كان مطمئن إلى صلاح زوجته وصدق رؤياها. جاء في الطبري: (وقبل ذلك ما رأت دومة امرأة أبي عبيد رؤيا وهي بالمروحة، أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب، فشرب أبو عبيد وجبر في أناس من أهله، فأخبرت بها أبا عبيد، فقال: هذه الشهادة، وعهد أبي عبيد إلى الناس، فقال: إن قتلت فعلى الناس جبر، فإن قتل فعليكم فلان حتى أمر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه ثم قال: إن أبو القاسم قتل فعليكم المثني) (101).

## المعركة

بعد أن حزم أمره أبو عبيد بالعبور أمر الناس فعبروا إلى الضفة الأخرى من النهر وكانت العقبة الأولى التي واجهها الجيش الإسلامي ضيق الأرض وانحصارهم بين فرعي نهر الفرات الذي فطن إليه معارضوا العبور، ولم يأخذ برأيهم أبو عبيد مما أفقدهم سهولة الحركة وحرية المناورة التي تتطلبها أية معركة ومن ثم واجهوا وابلًا من سهام العدو الموجه وهم بعيدين عن المواجهة المباشرة معه وكذلك واجه المسلمون الفيلة التي نفرت منها خيل المسلمين مما أدى إلى تحجيم حركة قوة الفرسان. قال الطبري بعد ذكره تسمية أبي عبيد لمن يخلفه إن قتل: (ثم نهد بالناس فعبروا إليهم، وعضلت الأرض بأهلها، وأجم الناس الحرب، فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل والخيل عليها التجانيف والفرسان عليهم الشعر رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلجل فرقت بين كراديسهم، لا تقوم لها الخيل إلا على نفار، وفرقهم الفرس بالنشاب وعض المسلمون الألم، وجعلوا لا يصلون إليهم، وترجل أبو عبيد وترجل الناس، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة، وقطعوا بطنها وأقلبوا عنها أهلها، وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطنه فقطعه ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا

فياً إلا حطوا رحله، وقتلوا أصحابه، وأهوى الفيل لأبي عبيد فنح مشفره بالسيف، فأتقاه الفيل بيده، وأبو عبيد يتجرثمه فأصابه بيده فوق فخبطه الفيل، وقام عليه، فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم(102).

لقد أظهر أبو عبيد والمسلمون شجاعة نادرة فهم جيش يسعى لإحدى الحسنين النصر أو الشهادة، جيش معظمه من الصحابة الذين تخرجوا من مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، ولقد كان أبو عبيد فدائياً لا يخشى الموت بل يدفع أبناءه وإخوته وذويه إلى الفداء والتضحية قبل غيرهم.

## المنى يقود المعركة

تولى القيادة بعد أبي عبيد سبعة من ثقيف استشهدوا جميعاً ثم تولى القيادة بعدهم المنى بن حارثة الشيباني. جاء في تاريخ الطبري: (وتتابع سبعة من ثقيف، كلهم بأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت)(103). كانت بطولات نادرة أظهرها القادة من ثقيف والمسلمون من حولهم لكن ذلك لم يغير من نهاية المعركة المفجعة.

آلت القيادة إلى المنى والمسلمون في تراجع لا يرون أمامهم إلا الجسر للعبور إلى الجانب الآخر وارتكب أحد بني ثقيف حماقة بقطعه الجسر لمنع المسلمين من الفرار وليواصلوا القتال متأثراً لمصاب القادة من ثقيف مما زاد الموقف تعقيداً.

جاء في تاريخ الطبري: (ثم أخذ اللواء المنى وهرب الناس، فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاءه وما يصنع الناس بادرهم إلى الجسر فقطعه، وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر، وخشع ناس فتواثبوا في الفرات، فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر، وحمى المنى وفرسان من المسلمين الناس، ونادى: يا أيها الناس، إنا دونكم فأعبروا على هينكم، ولا تدهشوا فإننا لم نزال حتى نراكم من ذلك الجانب فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور فأخذوه فأتوا به المنى فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا)(104).

لقد تسلم المنى القيادة والمعركة في أسوأ مراحلها فقد دبّت الفوضى بين صفوف المسلمين وأخذوا يهربون من المواجهة مع العدو وبقطع الجسر أصبح المسلمون بين النهر ومعظمهم لا يحسن السباحة وبين العدو، وكان هم المنى في هذه الظروف التي فقد فيها السيطرة على جنده أن ينقذ ما يستطيع إنقاذه فأعادوا إصلاح الجسر، ووقف مدافعاً عنه مع نخبة من الفرسان حتى يتمكن المسلمون من العبور بسلام.

102 (1) الطبري: تاريخ 4563 □ 457.

103 (2) الطبري: تاريخ 4573.

104 (1) الطبري: تاريخ 4573.

جاء في الطبري: (ونادى -المثنى- من عبر - من المسلمين- فجاءوا بعلوج فضموا إلى السفينة التي قطعت سفانها وعبر الناس)(105).

وظهرت بطولات الرجال في خضم هذه المعركة الفريدة في نتائجها، جاء في الكامل: (وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالاً شديداً وأبو محجن الثقفي)(106)، ومما لا شك فيه ان الكثير قاتل بشجاعة وإلا كيف استطاع المثنى أن يعيد شيئاً من الانضباط في صفوف جيشه، وتجلت الحمية العربية في قتال بعض النصارى العرب نصره للعرب المسلمين.

جاء في الكامل أيضاً: (وقاتل أبو زبيد الطائي حمية للعربية وكان نصرانياً قدم الحيرة لبعض أمره)(107)، ومن المتوقع ان نصارى آخرين قاتلوا مع أبي زبيد، وذكر أبو زبيد لشهرته بين العرب النصارى، جاء في الكامل في تعريفه: (أبو زبيد: هو المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، شاعر من نصارى طي، أدرك الإسلام ولم يسلم، استعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ولم يستعمل نصرانياً غيره، توفي في الكوفة أو في باديتها حوالي 62 هـ)(108)، ومن اليقين ان بطولات كثيرة ظهرت قبل الإرباك الذي حدث للمسلمين وبعده، ولكنها لم تذكر وإلا فمن قتل ستة آلاف فارسي.

وكانت قمة البطولة والفدا تتجلى في الذين منعوا الفرس من الوصول إلى الجسر حتى عبور آخر مسلم إلى الجهة الأخرى، وقد استشهد عدداً منهم كان آخرهم سليط بن قيس رضي الله عنه.

جاء في الطبري: (وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس)(109)، بعد عبور الجسر حاول الفرس تعقب المسلمين فتصدى لهم من بقي مع المثنى من المسلمين وكانوا حماة الاتسحاب وإلا لكانت الخسائر أكبر.

جاء في الطبري: (وعبر المثنى وحمى جانبه فاضطرب عسكره، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم)(110)، كل هذا الخلل حدث بعد استشهاد أبي عبيد، أما قبل استشهاده فقد كادت المعركة أن تنتهي بنصر للمسلمين. جاء في الطبري: (وقد أسرع السيوف في أهل فارس وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ولم يبق ولم ينتظر إلا الهزيمة، فلما ضُبط أبو عبيد وقام عليه الفيل جال المسلمون جولة، ثم تموا عليها وركبهم أهل فارس)(111).

105 (2) الطبري: تاريخ 4573.

106 (3) ابن الأثير: الكامل 2، 287.

107 (1) ابن الأثير، 2872.

108 (2) ابن الأثير، 2/ 242.

109 (3) الطبري: تاريخ 4553.

110 (4) الطبري: تاريخ 4573.

111 (5) الطبري: تاريخ 4543 □ 455.

## نتائج المعركة

للمعركة نتائج عدة بدأت بأرض المعركة بتغير المواقف من الطرفين والخسائر في صفوف الجانبين وانسحب تأثيرها إلى المدينة المنورة مركز القرار السياسي للمسلمين، وانعكس في تصرف القادة والمقاتلين المسلمين في أرض المعركة فيما بعد.

ان معركة الجسر بنتائجها أصابت المسلمين في جيش أبي عبيدة بالإحباط بعد أن كانوا يقتربون من النصر، عاد بعضهم إلى المدينة وهرب بعضهم إلى الصحراء خجلاً من نتيجة المعركة وبقي مع المثنى بن حارثة قلة من المقاتلين.

جاء في تاريخ الطبري: (فلما عبر المثنى أرفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم في البوادي وبقي المثنى في قلة)(112).

وكانت خسائر المسلمين أربعة آلاف في معظم الروايات، وذكر أقل من ذلك ولعل الاختلاف جاء من ذكر بعضهم لقتلى المعركة فقط من دون من غرق في النهر.

جاء في الطبري: (هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق)(113).

وقد ذكر الذهبي الاختلاف في ما ورد في عدد من استشهد يوم الجسر من المسلمين، قال: (واستشهد يومئذ فيما قال خليفة ألف وثمانمائة، وقال سيف: أربعة آلاف ما بين قتيل وغريق، وعن الشعبي قال: قتل أبو عبيد في ثمانمائة من المسلمين)(114).

وقد حاول الفرس انتهاز حالة الفوضى التي دبت في صفوف المسلمين في نهاية المعركة لملاحقة المسلمين حتى بعد عبورهم الجسر ولكن الذي حال بينهم وبين ذلك تصدي المثنى ومن معه لهم ومنعهم من الاقتراب من الجسر حتى يعبر المسلمون بسلام إلى الجانب الآخر وقد تمكن من ذلك بعون الله تعالى.

والأمر الآخر الذي أوهن عزيمة الفرس في اللحاق بالمسلمين ورود أخبار إلى قادة الفرس في معركة الجسر من حدوث تمرد فارسي على رستم في المدائن.

جاء في الكامل: (وأراد بهم جاذويه العبور خلف المسلمين فأتاه الخبر باختلاف الفرس وانهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينه وبينهم وصاروا فريقين .. فرجع إلى المدائن)(115).

112 (1) الطبري: تاريخ 4583.

113 (2) الطبري: تاريخ 4583.

114 (3) الذهبي: الخلفاء الراشدين من تاريخ الإسلام، ط5.

115 (1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 2882.

## في المدينة المنورة<sup>ﷺ</sup>

فقد كان وقع الخبر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى المسلمين أليماً. جاء في الطبري: ( فكان أول من قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن زيد بن الحسين الخطمي فأخبر الناس، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت سمعت عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد فنأدى الخبر يا عبد الله بن زيد؟

قال: أتاك يا أمير المؤمنين، فلما انتهى إليه، أخبره خبر الناس، فما سمعت برجل حضر أمراً فحدث عنه كان أثبت خبراً منه، فلما قدم فل الناس، ورأى عمر جزع المسلمين من المهاجرين والأتصار من الفرار، قال: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فنتكم، إنما انحزتم إلي(116).

وقد كان وقع الهزيمة أشد ألماً وحسرة في نفوس من شهد المعركة وفر منها، جاء: (ان معاذ القارئ أخا بني النجار كان ممن شهدا ففر يومئذ، فكان إذا قرأ هذه الآية: ( وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) بكى، فيقول له عمر: لا تبك يا معاذ أنا فنتك وإنما انحزت إلي ( 117).

والمتحيز هو وكما جاء في تفسير القرآن الكريم: (والمتحيز الفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه، فإما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب فإنه حرام وكبيرة من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"(118).

## أثر معركة الجسر النفسي والعملي للمقاتلين المسلمين في جبهة القتال<sup>ﷺ</sup>

معركة الجسر علامة فارقة بين معارك المسلمين في العراق فهم لم يخسروا معركة واحدة لا قبلها ولا بعدها، فمعارك المثنى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد وأبو عبيد باستثناء معركة الجسر وما بعد الجسر من معارك إلى أن ضم العراق كاملاً إلى الدولة الإسلامية كلها انتهت بالنصر للمسلمين.

116 (2) الطبري: تاريخ 4583 □ 459.

117 (1) الطبري: تاريخ 4593، سورة الأنفال، آية 16.

118 (2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 204-21.

لقد كان وقع معركة الجسر ونتيجتها أليماً على المسلمين وخاصة من فر من المعركة فقد شعروا بالإثم وسعوا للتكفير عن ذلك، فهذا سعد بن عبيد يعبر عن ذلك برفضه القتال إلا في جبهة القتال في العراق، وكل ثاني من أجاب دعوة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيد.

جاء في الطبري: (فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بني فزارة هرب يوم الجسر، فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك فيأبى إلا العراق، ويقول: ان الله جل وعز اعتد علي فيها بغرة، فلعله أن يرد علي فيها مرة)(119).

وفي المعارك اللاحقة مع الفرس كان عامل الثأر لمعركة الجسر باعثاً آخر بعد الجهاد في سبيل الله الملهم للجيش الإسلامي، والثأر عند العرب في الجاهلية رمزاً للحفاظ على كرامة القبيلة، أما في الإسلام فقد أخذ بعداً عقائدياً إذ أن المسلمين أصبحوا يعقدهم أمة واحدة، قال الله تعالى: ( إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ) (120)، فهذا القعقاع بن عمرو يرى ان قتل بهمن جاذويه في معركة القادسية ثأراً لقتلى المسلمين في الجسر.

جاء في مروج الذهب في سياق حديثه عن القادسية: (وبرز القعقاع... ونادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه عظيم منهم، فقال القعقاع: من أنت؟ قال: أنا بهمن بن جاذويه، وهو المعروف بذي الحاجب، فنادى القعقاع: بالثارات أبي عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر، وقد كان ذو الحاجب مبارزاً لهم على ما ذكرنا من قتله إياهم، فجالاً: فقتله القعقاع)(121).

وقد أصبح للمسلمين خطط مستفادة من معركة الجسر في مواجهة الفرس. ففي مروج الذهب أن جرير بن عبد الله البجلي عندما طلب منه قومه عبور النهر إلى المدائن رفض ذلك أخذاً العبرة من معركة الجسر، وكان عمر رضي الله عنه قد أرسله على رأس قومه إلى العراق، جاء: (وعن قدوم جرير إلى مرزبان المدائن، وكان في عشرة آلاف من فارس من الأساورة، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيد وسليط فقال بجيلة لجرير أعبّر الدجلة إلى المدائن، فقال جرير: ليس ذلك بالرأي، وقد مضى لكم في ذلك عبرة بمن قتل من إخوانكم يوم الجسر، ولكن أمهلوا القوم فإن جمعهم كثير حتى يعبروا إليكم، فإن فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى، فأقامت الفرس أياماً في المدائن، ثم أخذوا في العبور، فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن تسرع معه من بجيلة، فثبتوا ساعة، فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم)(122).

119 (1) الطبري: تاريخ 4443.

120 (2) سورة الأتبياء: 92.

121 (3) المسعودي، 3222.

122 (1) المسعودي، 3182- 319.



## القرار السياسي في المدينة المنورة<sup>ق</sup>

بعدما تجاوز عمر رضي الله عنه والمسلمون آثار معركة الجسر وما أحدثه المثنى بن حارثة الشيباني من توازن على الساحة العراقية بانتصاراته على الفرس أخذ عمر بن الخطاب يستشير كبار الصحابة رضي الله عنهم ليتخذ قراراً خاصاً في العراق.

جاء في مروج الذهب: ( ولما قتل أبو عبيد الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر الناس وحثهم على الجهاد وأمرهم بالتأهب لأرض العراق، وعسكر عمر رضي الله عنه وهو يريد الشخصوص .. ودعا الناس، فاستشارهم فأشاروا عليه في المسير ثم قال لعلي: ما ترى يا أبا الحسن أسير أم أبعث؟ قال: سر بنفسك فإنه أهيب للعدو وأرهب له، فخرج من عنده، فدعا العباس في جلة من مشيخة قريش وشاورهم، فقالوا: أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فنة وخرجوا، فدخل إليه عبد الرحمن بن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن: فديت بأبي وأمي، أقم وابعث فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك وإنك إن تهزم أو تُقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً)(123).

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن استقر رأيه على البقاء، وبعث سعد بن أبي وقاص بعد أن استشار عدداً من الصحابة رضي الله عنهم.

## في الجانب الفارسي<sup>ق</sup>

بعد فشل بهمن بن جاذويه في عبور الجسر واستثمار ما حدث من خلل في صفوف المسلمين وكان سبب ذلك عوامل عدة، منها: حماية المثنى للجسر وورود أنباء الفتنة في المدائن وكذلك حلول الظلام مما يسر للمسلمين انسحابهم إلى الصحراء، فهي ملاذهم حتى يعيدوا ترتيب صفوفهم للإنطلاق لجولات أخرى، ومبادرة المثنى للتصدي لجابان ومردنشاہ عندما حاولا قطع الطريق على المسلمين ظناً منهم أن المسلمين في حالة تراجع. جاء في تاريخ الطبري: (وخرج جابان ومردنشاہ حتى أخذوا بالطريق .. وبلغ المثنى فعلة جابان ومردنشاہ، استخلف على الناس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريد هما فظنا أنه هارب فاعترضاه فأخذهما أسيرين .. وقال: أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفزرتماه فضرب أعناقهما)(124).

123 (2) المسعودي، 2172.

124 (1) الطبري، 456/3 - 40.

حتى لو حقق الفرس بعض النتائج الايجابية لصالحهم ستكون مؤقتة وذلك لأن المسلمين صف واحد متماسك وعلى درجة عالية من الانضباط، وحتى وإن اختلفوا في الرأي كما حدث قبيل معركة الجسر.

أما الفرس فبعد عجز بهمن جاذويه من النيل من المسلمين بعد عبورهم الجسر عاد إلى المدائن بنصر يفخر به لأنه أول نصر للفرس على المسلمين ولكنه كان آخر نصر لهم حتى نهاية معاركهم مع المسلمين وحتى لو حقق الفرس واقعاً أفضل على الأرض إلا انه سيكون مؤقتاً فقيادتهم متناحرة كل يسعى لتحقيق مجد شخصي، هذا على المستوى الشخصي أما فيما يخص الإمبراطورية فإنهم لم يجدوا من البيت المالك رجلاً يختارونه إمبراطوراً إلا رجلاً ضعيفاً مختبئاً عند أخواله لخوف أمه عليه من القتل.

جاء في الكامل: (لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على أهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من أمركما أن نقركما على هذا الرأي وأن تعرضاها للهلكة ما بعد بغداد وساباط، وتكرت إلا المدائن، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما ثم نهلك وقد اشتفينا منكما)(125)، فما كان من رستم والفيرزان إلا أن طلبا من بوران ابنة كسرى أسماء نساء كسرى وسراريه لعلهم يجدوا ذكراً يولونه الملك من آل كسرى ففعلت.

جاء في الكامل: (فأحضروهن جميعهن وأخذوهن بالعذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى فلم يوجد عند واحدة منهن أحد، وقال بعضهن لم يبق إلا غلام يدعى يزدرجد من ولد شهريار بن كسرى)(126).

هذا حال الإمبراطورية الساسانية، صراع في المدائن وبحث عن ملك لعله يعيد شيئاً من هيبة الدولة. فكانت إذاً معركة الجسر انتكاسة مؤقتة تجاوزها المسلمون وخمدت جذوتها عند الفرس بعد نشوة الانتصار لحظة انتهاء المعركة ولم تغن عنهم شيئاً فيما بعد.

# المبحث الثالث

## معركة البويب

### بداية فتح العراق

ان معركة الجسر كانت المعركة الوحيدة التي خسرها المسلمون في حربهم مع الفرس حتى سقوط الدولة الساسانية وأحدثت خللاً مؤقتاً في صفوف الجيش الإسلامي، إذ أن قسماً منه عاد إلى المدينة وآخر توغل في الصحراء خجلاً من تراجعهم في معركة الجسر وبقي مع المثنى بن حارثة الشيباني ما يُقارب ثلث الجيش. أراد الفرس إدامة اندفاعهم خلف المسلمين على أمل إكمال القضاء على الجيش الإسلامي بزعمهم (ومما يشير الدهشة والعجب انه بالرغم من كل ما حدث لم يتمكن الفرس من الحصول على أسير واحد من المسلمين ولم يستأسر منهم أحد قط إبقاء على حياته)(127).

(اندفع الفرس خلف المسلمين بقيادة كل من جابان ومردنشاہ لقطع الطريق على المسلمين للقضاء عليهم وقد قدرا ان المسلمين في حالة هروب وتراجع فلما علم المثنى بهما خرج في ثلثة من المسلمين فظنا انه هارب فاعتراضه فاخذهما أسيرين وقتلها بعد أن قال لهما انتما غررتما أميرنا وكذبتما واستفزتماه، وكان أهل ليس قد تواطؤوا مع المثنى عليهم وعقد لهم بها ذمة. وأمر آخر ما حدث في المدائن من فرقة بين الفرس واختلافهم على الزعامة فيها فما كان من بهمن جاذويه بعد أن أتاه الخبر بذلك إلا أن يعود فجأة إلى المدائن ليشارك في إدارة الصراع وهو المزهو بما حققه في معركة الجسر)(128).

## معركة البويب

كانت معركة البويب متميزة بين معركتي الجسر والقادسية إذ أنها أحدثت توازناً بين المسلمين والفرس بل أكدت الهيبة عند الفرس من المسلمين (فقد قال كل من الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى عندما قالت لهما: ما بال

127 (1) الطريق إلى المدائن ، ص 415 .

128 (2) أنظر.. الطبري: تاريخ 4593- 460 .

أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟ وما لكم لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم؟ قالوا: ان الهيبة كانت مع عدونا يومئذ وانها فينا اليوم).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أرسل مدداً إلى المثنى بن حارثة فاجتمع المسلمون عند البويب قرب الكوفة على نهر الفرات وكان في الجانب الثاني من النهر الفرس بقيادة مهراة الهمداني، وكتب مهراة المثنى قائلاً: إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا مسترجعاً ما حدث لأبي عبيد رحمه الله عند الجسر، فعبر مهراة.

وكان المدد الذي أرسله عمر رضي الله عنه بقيادة جرير بن عبد الله وآخر بقيادة عصمة بن عبد الله الضبي ومن إلحق بهم من أهل الردة.

(وشارك في المعركة نصارى من النمر وأميرهم أنس بن هلال النمري ونصارى من بني تغلب وعليهم عبد الله بن كليب بن خالد وقد قالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا، وكانت نتيجة المعركة هزيمة الفرس وقتل الآلاف منهم وقتل قائدهم مهراة(129).

(وقد قتل في المعركة مسعود بن حارثة الشيباني أخو المثنى بن حارثة وقد هون المثنى على المسلمين استشهاده أخيه بقوله: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا(130)، بل ان أخاه مسعود هون أمر مصرعه على قومه بقوله حين أصيب: (يا معشر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم يرفعكم الله لا يهولنكم مصرعي)(131).

وقد قال لقومه قبل إصابته وكأنه ينتظر الشهادة: (ان رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما انتم فيه الزموا مصافكم واغنوا غناء من يليكم)(132).

وقد قاد المثنى المعركة بحكمة وشجاعة، والمعركة كانت في رمضان فطلب من جيشه الإفطار ليتقوا على القتال بقوله (انكم صوام والصوم مرقة ومضعفة، واني أرى من الرأي أن تفتروا ثم تقفوا بالطعام على قتال عدوكم، قالوا: نعم فأفطروا)(133).

وكان لمعركة البويب أثر كبير في حماس واندفاع من فر في معركة الجسر وقد وجه المثنى ذلك لمصلحة المعركة فعندما رأى رجلاً يتهياً ويتقدم من الصف فقال: ما بال هذا يستقتل؟ قالوا: هو ممن فر يوم الجسر فمنعه من الاندفاع وأمره بأن يلزم صفه، فاستقر ولزم الصف، ولكن عندما فرّ الفرس وأراد المثنى اللحاق بهم قال: ( أين المستبسل بالأمس وأصحابه انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب وأبلغوا من عدوكم ما تغيظونهم فهو خير لكم وأعظم أجراً، واستغفروا الله ان الله غفور رحيم.

129 (1) أنظر.. الطبري: تاريخ 4633 □ 466.

130 (2) البلاذري: فتوح البلدان، ص 254.

131 (1) الطبري: تاريخ 4673.

132 (2) الطبري: تاريخ 4663.

133 (3) الطبري: تاريخ 4613.

وكان أول من انتدب يومئذ للمثنى واتبع آثارهم المستبسل وأصحابه وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستبسل فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ثم أخرجهم في آثار القوم.. ولم يبقَ في العسكر جريء إلا خرج في الخيل، فأصابوا في البقر والسبي وسائر الغنم شيئاً كثيراً فقسمه المثنى عليهم. وقد قيل شعراً في البويب من ذلك:

وقد أرانا بها والشمل مجتمع... إذ بالنخيلة قتلَى جند مهرانا  
ازمان سار المثنى بالخيول لهم... فقتل الزحف من فرس وجيلانا  
سما لمهران والجيش الذي معه .. حتى ابادوهم مثنى ووحدانا  
وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة قتل الله عدو الله مهراان وجيشه وافعموا جنبتي البويب  
عظماً(134).

وبعد الانتهاء من المعركة جلس المثنى للناس يحدثهم ويحدثونه ونلمس من حديثهم علو الهمة وعمق الثقة بالنفس بفضل الله، قال أحدهما قتلت رجلاً فوجدت منه رائحة المسك فقلت: مهراان ورجوت أن يكون إياه فإذا هو صاحب الخيل شهربراز، فوالله ما رأيته إن لم يكن مهراان شيئاً، فقال المثنى: قد قاتلتُ العرب والعجم في الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد عليّ من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد عليّ من ألف من العجم إن الله اذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم فلا يروعنكم زهاء كثرة ترونه ولا سواد ولا قسي فيج ولا نبال طوال فإنهم إن اعجلوا عنها وفقدوها، كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت، وقال آخر: حزنا كتيبة منهم إلى الفرات ورجوت أن يكون الله قد أذن في غرقهم وسلى عنا بها مصيبة الجسر. فقاتلناهم قتالاً شديداً وحملت بها على حاميتهم فقتلته فولوا نحو الفرات فما بلغه منهم أحد فيه الروح(135)، وغير ذلك كثير.

وقد اعترف المثنى بخطأ ارتكبه وهو قطعه الجسر على الفرس داعياً جنده ألا يقتدوا به مع العلم ان الفرس لم يغيروا من واقع المعركة شيئاً، فقد جاء: ( وذلك ان المثنى بادرهم عند الهزيمة الجسر فأخذه عليهم فأخذوا يمناً ويسرة وتبعهم المسلمون إلى الليل ومن الغد إلى الليل وندم المثنى على أخذه الجسر وقال: لقد عجزت عجرة وقي الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه، حتى أخرجتهم، فإني غير عاند، فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلة فلا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع)(136).

وقد كان لمعركة البويب انعكاساتها على كل من المسلمين والفرس فالمسلمون أصبحوا سادة المنطقة وانفتحت أبواب العراق من جنوبه إلى شماله تجوبه خيولهم كيف شاءت، وقد تحرك المثنى بعد معركة البويب، جاء (ثم خلف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية، وسار يمخر السواد ونزل أليس، قرية من قرى الانبار واغار على الخنافس وهي سوق يجتمع بها تجار مدائن كسرى ثم رجع فأتى الانبار فتحصن أهلها منه، فلما عرفوه نزلوا إليه واتوه بالأعلاف والزراد وسار منها إلى بغداد وأرسل قوة إلى صفين وسار إلى تكريت، ثم عاد إلى

134 (1) الطبري، 4703.

135 (2) الطبري، 4673- 468.

136 (1) الطبري، 4683- 469.

الانبار)(137)، هذا بعض ما أحدثته معركة البويب في الجانب الإسلامي أما في الجانب الفارسي فقد اهتز المجتمع الفارسي وخاصة في المدائن مركز القرار السياسي والعسكري جاء: (لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس وأطمعنا فيهم عدوهم ولم يبلغ من أمركما أن نقركما على هذا الرأي وان تعرضاها للهلكة، ما بعد بغداد، وساباط وتكريت إلا المدائن، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت ثم نهلك وقد اشتفينا منكما، فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى - وكانت قد تولت ملك الفرس لعدم معرفتهم بوجود ذكر من آل كسرى- اكتبى لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم ففعلت فعلموا بوجود غلام يدعى يزيدجرد بن شهريار بن كسرى كانت أمه قد أخفته عند أخواله خوفاً عليه من أن يقتله شيري كما قتل أخوته)(138)، فاجتمعت كلمة الفرس على توليته، وأخذوا يعدون جيشاً ضخماً لاستعادة العراق فما كان من المثنى إلا الانسحاب ثانية، والإقامة بذى قار مع جيشه منتظراً الإمدادات من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هكذا كان الموقف بعد معركة البويب؛ الفرس يتأهبون لهجوم مُضاد على المسلمين والمسلمون ينتظرون قدوم الإمدادات من أمير المؤمنين عمر، فكانت معركة القادسية أتت على آخر أمل للفرس باستعادة العراق.

137 (2) الطبري: تاريخ 4723- 473.

138 (1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 2942.

## الفصل الثالث

من معركة القادسية

إلى مقتل يزيد جرد

# المبحث الأول

## معركة القادسية

### القادسية أيام قبل المعركة

كان وقع معركة الجسر على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى المسلمين كبيراً إلا ان معركة البويب والتي نصر الله بها المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني رحمه الله قد أحدثت توازناً على الساحة العراقية، مما دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعمل على مواصلة الجهاد لاستكمال تحرير العراق وقد تردد فيمن يقود الحملة هل يقودها بنفسه أو يعهد بقيادة الحملة لرجل من الصحابة رضي الله عنهم.

أخذ أمير المؤمنين عمر يستشير كبار الصحابة ليتخذ قراره في قيادة الحملة فأشار عليه بعضهم أن يتولى القيادة بنفسه وأشار عليه آخرون بإرسال غيره، منهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء (ودعا - أي عمر - العباس في جلسة من مشيخة قريش وشاورهم فقالوا: أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فنة .. وقال: عبد الرحمن بن عوف لعمر: فدبت بأبي وأمي، أقم وابعث، فإنه إن انهزم جيشك فليس كهزيمتك، وإنك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً)(139).

فما كان من عمر إلا ان استقر رأيه على البقاء، وبعث سعد بن أبي وقاص بعد أن استشار عدداً من الصحابة رضي الله عنهم.

وغادر سعد بن أبي وقاص المدينة ومعه أربعة آلاف من المسلمين ومما أوصاه به عمر قوله: (لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله لا يمحو السوء بالسوء ولكنه يمحو السوء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الاطاعته وقال له: فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزمه ووصاه بالصبر)(140).

وكان المثنى بن حارثة ينتظر قدوم سعد لكنه مات قبل قدوم سعد من جراحه التي أصيب بها في معركة الجسر وترك له وصية جاء فيها: (أن لا يقاتل عدوه وعدوهم - يعني المسلمين- من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وملوهم في عقر دارهم وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وإن تكن الأخرى فاعوا إلى فنة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم،



وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .. وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأي  
المتنى(141).

وكان عمر رضي الله عنه يتابع تحركات سعد رضي الله عنه ويطلب منه وصف الأرض وحال العدو، ويوصيه  
بإخلاص النية ويعظه ويطلب منه أن يتعهد جنده بالموعظة، جاء في كتاب عمر إلى سعد (أما بعد فتعاهد قلبك  
وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة والصبر الصبر فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر على  
قدر الحسبة والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية وأكثروا من قول (لا حول ولا  
قوة إلا بالله) .. وطلب عمر من سعد وصفاً للمنطقة التي هم فيها ليمده بالرأي قائلاً: فإنه قد منعتني عن بعض ما  
أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم فصف لنا منازل المسلمين، والبلد  
الذي بينكم وبين المدائن صفه كأنني أنظر إليه، واجعلني من أمركم على الجلية وخف الله وأرجه ولا تدل بشيء  
واعلم ان الله قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له، فاحذر أن تصرفه عنك فيستبدل بكم غيركم(142).

وكان سعد قبل المعركة يبعث بالسرايا تشن الغارات على العدو لثلاث أهداف:

الأول: طلب التموين لجيش المسلمين في الميدان.

الثاني: استنزاف العدو قبيل المعركة.

الثالث: إجبار الفرس على الخروج من حصونهم لحسم الموقف معهم.

وقد أثمرت هذه الخطة إذ حصل المسلمون على ما يكفيهم من المؤن، وازداد الضغط المادي والنفسي على أهل  
السواد، فاستعانوا بيزدجرد يطلبون منه النجدة والغوث وإلا ليس أمامهم إلا الاستسلام.

جاء ( وعج أهل السواد إلى يزدجرد بن شهریار وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا  
الحرب وإن فعل العرب ليس يشبه إلا الحرب، وإن فعل العرب قد نزلوا القادسية لا يبقى عليها شيء، وقد  
أخربوا ما بينهم وبين الفرات، وليس فيما هنالك أنيس إلا الحصون، وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتمله  
الحصون من الأطعمة ولم يبق إلا أن يستنزلونا فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا وكتب إليه بذلك الملوك

الذين لهم الضياع بالطف وأعانوهم عليه، وهيجه على بعثة رستم (143) وعلى أثر هذا استقر رأي يزدجرد  
أن يرسل رستم، فأرسل إليه وقال له: ( إنني أريد أن أوجهك في هذا الوجه وإنما يعد للأمر على قدرها، وأنت  
رجل أهل فارس اليوم وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير فأراه أنه قد قبل  
منه وأثنى عليه)(144).

وكان رستم يخشى من قتال المسلمين ولكنه لم يفصح بذلك ليزدجرد بل طلب منه ذلك وكأنه يقدم له الخطة  
الأمثل تحسباً لكل طارئ فقال رستم: ( أيها الملك دعني فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضرمهم بي، ولعل

141 (2) أنظر : الطبري 4903 .

142 (1) الطبري 4913 .

143 (2) الطبري 5033 .

144 (1) الطبري 5033 .

الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب، فإن الرأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر، فأبى عليه وقال: أي شيء بقي! فقال رستم ان الأناة في الحرب خير من العجلة وللأناة اليوم موضع، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا فنج وأبى - (أي يزدجرد) (145) وأعاد إليه رستم رجاءه قائلاً: (أنشدك الله في نفسك وأهلك وملكك دعني أقم بعسكري وأسّر الجالينوس فإن تكن لنا فذلك وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره حتى إذا لم نجد بدأ ولا حيلة صبرنا عليهم وقد وهناهم فأبى إلا ان يسير) (146) فلما رأى رستم إصرار يزدجرد على رأيه تولى قيادة الجيش وأخذ يطاول المسلمين لعلمهم يعودوا من حيث أتوا.

جاء (وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلا أن لقي سعداً أربعة أشهر لا يقدم ولا يقاتل، رجاء أن يضجروا بمكانهم وأن يجهدوا فينصرفوا، فكرة قتالهم مخافة أن يلقي ما لقي من قبله وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله وينهضه ويقدمه حتى أقحمه) (147) ولما ينس من استجابة يزدجرد له تحرك بجيشه حتى أصبح قبالة الجيش الإسلامي وكان قد كتب إلى أخيه مقراً بخوفه من المستقبل قائلاً له: (ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان أشد ما رأيت ان الملك قال: لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسى فأنا سائر إليهم) (148) بل أن يزدجرد اعترف بقوله لرستم: أي شيء بقي ان رستم آخر سهم في جعبته.

ومحاولة أخرى لتأجيل المعركة على الأقل ولكن باتجاه آخر إذ أراد تجنب قتال المسلمين وذلك بالتفاوض معهم إذ طلب من المسلمين رجلاً للحديث معه، وكان على مقدمة جيش سعد زهرة بن الحوية جاء (لما نزل رستم على العتيق ويات به، أصبح غادياً على التصفح - التأمل- والحزر- التخمين- فساير العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة فتأمل القوم، حتى أتى على شيء يُشرف منه عليهم، فلما وقف على القنطرة راسل زهرة فخرج عليه حتى واقفه، فأراده أن يصلحهم، ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه وجعل يقول فيما يقول انتم جيراننا وقد كانت طانفة منكم في سلطاننا، فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة، نحفظهم في أهل باديتهم فنزعهم مراعيينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا، وقد كان لهم في ذلك معاش - يعرض لهم بالصلح، وإنما يخبره بصنيعهم والصلح يريد ولا يصرح- فأجابته زهرة مبيناً له انهم ليسوا كمن سبقهم من العرب وغايتهم سامية فيها خير الدنيا والآخرة، أجابه قائلاً: صدقت قد كان ما تذكر وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا، إنا لم نأتكم لطلب الدنيا وإنما طلبتنا وهمنا الآخرة كنا كما ذكرت، يدين لكم من ورد عليكم منا، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم، ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأجبناه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم إني قد

. 5043 (2) الطبري

. 5043 (3) الطبري

. 5093 (4) الطبري

. 5063 (1) الطبري

سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد إلا عز، فقال له رستم: وما هو؟ قال: أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، قال: ما أحسن هذا وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى، قال: حسن، وأي شيء أيضاً؟

قال: والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم، قال: ما أحسن هذا! ثم قال له رستم: رأيت لو اني رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ومعى قومي كيف يكون أمركم؟ أترجعون؟ قال: إي والله لا نقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة، قال: صدقتني والله، فدعا رستم رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا من ذلك وأنفوا، فقال: أبعدكم الله وأسحقكم(149).

ثم ان سعداً أرسل إلى رستم تلبية لطلب رستم ان يرسل إليه من يكلمه فأرسل إليه على التتابع ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة فاجمعوا كلهم بعد عرضهم عليه الغاية من مجيئهم ان يجيبهم إلى احدى ثلاث -الإسلام أو الجزية أو الحرب- وكان ربعي اولهم فأراد رستم أن يطيل المفاوضات فقال: (فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر وتنظروا، قال: نعم، كم أحب إليكم أيوماً أو يومين؟ قال: لا حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، فأراد مقاربتة ومدافعتة، فقال: ان مما سن لنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فأنظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك او الجزاء، فتقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك أو المنابرة في اليوم الرابع ولسنا نبدوك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا ان تبدانا، أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى، قال أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم(150).

وكان عمر رضي الله عنه قد أدرك ان الفرس سيطاولون المسلمين رجاء ان لا تقع الحرب ، وإلا فإبعاها ما استطاعوا فكتب إلى سعد يأمره بالصبر والمطولة(151)، ولما لم توقف المفاوضات الحرب ولم تحقق هدنة كانت المعركة.

149 (1) الطبري 518-5173 .

150 (1) الطبري 520/3 .

151 (2) الطبري 520/ 3 .

## القَادِسيَّةُ قبيل المعركة

ولما لم يجد رستم مفرأً من الحرب أخذ بإظهار العزم على قتال المسلمين وهزيمتهم وقد كان آخر ما قاله المغيرة بن شعبه لرستم: (ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً، ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال، فقال: وإن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا: لا صبر لنا عليه)(152).

فقال رستم: إذا تموتون دونها، فقال المغيرة: يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم يدخل النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم.

(فاستشاط رستم غضباً ثم حلف بالشمس أن لا يرتفع الصبح غداً حتى نقتلكم جميعاً)(153).

وكان سعد حريصاً أن يقبلوا بالإسلام أو الجزية فأرسل إليهم من ذوي الرأي فعرضوا على رستم ما عرضه من سبقهم فرفض وأبى إلا القتال وقال: (أتعبرون إلينا أم نعبّر إليكم، فقالوا: بل اعبروا إلينا ورجعوا من عنده عشياً وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم وأرسل إليهم شأنكم والعبور ورأى رستم من الليل كأن ملكاً نزل من السماء فاخذ قسي أصحابه نوع من الثياب الفاخرة تصنع بمصر والشام، فختم عليها ثم صعد بها إلى السماء فاستيقظ مهموماً واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال: إن الله ليعظنا لو اتعظنا)(154).

لم يتعظ رستم يدفعه بذلك الكبرياء وحب الزعامة بل دفعه ذلك إلى القول: أنه سينتصر أراد الله ذلك أم لم يرد، نعوذ بالله من ذلك، جاء (ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان، واخذ سلاحه، وأمر بفرسه فأسرج فأتي به وقال: غداً ندقهم دقاً، فقال له رجل: إن شاء الله، فقال: وإن لم يشأ)(155)، قال ذلك وكأنه يريد أن يطرد الخوف من قلبه، وهو يواجه المسلمين، وهو المشهور عنه الخوف من المسلمين وقد أظهر ذلك إلى من يشق به.

كان جيش الفرس 120 ألف مقاتل، جاء (ومسيره من ساباط -أي رستم- فيه مائة ألف وعشرين ألفاً) (156) ومعهم آخرين تبعاً لهم مع أكثر من ثلاثين فيلاً وكان عدد المسلمين يزيد على الثلاثين ألفاً، جاء (فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفاً وجميع من قسم عليه فيوها نحو من ثلاثين ألفاً)(157).

عبر الفرس العتيق وجلس رستم على سريره وأعد جيشه للمعركة، جاء (ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعين في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال وفي المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته،

152 (3) الطبري، 5233 .

153 (4) الطبري، 5233 .

154 (1) الطبري، 5293 .

155 (2) الطبري، 5303 .

156 (3) الطبري، 5353 .

157 (4) ينظر : مروج الذهب/ 2/ 320 .

وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين) (158) والقنطرة على العتيق استولى المسلمون عليها ومنعوا الفرس من العبور منها فعبروا من كان آخر بعد ردمه.

وكان يزدجرد قلقاً يخشى نتيجة المعركة لذا فقد تخلى عن نظام البريد المتعارف عليه وأقام رجالاً أولهم على باب إيوانه وآخرهم مع رستم، جاء (وكان يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالاً على كل دعوة رجل أولهم على باب إيوانه وآخرهم على باب رستم فكلما فعل رستم شيئاً قال الذي معه للذي يليه: كان كذا وكذا، ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا إلى أن ينتهي يزدجرد في أسرع وقت) (159).

(وأخذ المسلمون مصافهم وجعل زهرة بن حوية التميمي وعاصم بن عمرو التميمي بين عبد الله بن المعتم وبين ميسرة بن شرحبيل بن السمط، وخلط بين الناس في القلب والمجنّيات، ونادى مناديه: ألا ان الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد - وقد ألمّ به مرض منعه من قيادة المعركة بنفسه فاستحلف خالد بن عرفطة على الناس-، وفي هذه اللحظات الحرجة اعترض أناس على خالد بن عرفطة فخطب سعد بالناس قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه: ان الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف، قال الله جل ثناءه: ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) (160)، ان هذا ميراثكم وموعد ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج فأنتم تطعمون مها وتأكلون منها، وتقتلون أهلها وتجبنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، -وهم الذين قاتلوا الفرس قبل مقدم سعد إلى العراق- وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعز من وراءكم، فإن تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، وان تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ربحكم وتوبقوا آخرتكم .. وقال: اني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبون (الدمامل) الجنون فاني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا، فانه انما يأمركم بأمرى ويعمل برأى، فقرى على الناس فزادهم خيراً، وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع) (161).

كان للإعلام دوره في المعركة، جاء (قالوا وارسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس والذين انتهت إليهم نجدتهم وأصناف الفضل فيهم إلى الناس .. وقال قبل أن يرسلهم انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس فإتكم من العرب بالمكان الذي انتم به، وانتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا في الناس فذكروهم وحرصوهم على القتال، فساروا فيهم، فقال قيس بن هبيرة الأسدي: أيها الناس احمداوا الله على ما هداكم له وابلاككم يزدكم واذكروا آلاء الله وأرغبوا إليه في عاداته فأما الجنة أو الغنيمة أمامكم، وقال بسر بن أبي رهم الجهني: احمداوا الله، وصدقوا قولكم بفعل، وقال عاصم بن

158 (1) الطبري 530/3 .

159 (2) أنظر : الطبري 3 / 530 .

160 (3) سورة الأنبياء : آية 10 ..

161 (1) الطبري 531/3 .

عمرو: يا معاشر العرب إنكم أعيان العرب وقد صمدتم -أي قصدتم- الاعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا فلا يكونن على دنياهم احوط منكم عل آخرتكم ، وقال ربيع بن البلاد السعدي: يا معاشر العرب قاتلوا للدين والدنيا ( وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ )، وإن عظم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الاخبار عنكم بالمواسم ما دام للاخبار اهل -وتتابع الخطباء والشعراء- وفعل أهل فارس مثل ذلك وتعاهدوا وتواصلوا واقترنوا بالسلاسل وكان المقترنون ثلاثون ألفاً(162).

## الأمر القتالي

وكانت التكبيرات الأربعة التي أطلقها سعد بمثابة أمراً قتالياً متدرجاً من الاستعداد في التكبيرة الأولى إلى الهجوم في الرابعة جاء: (قال سعد: الزموا مواقعكم، لا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، واعلموا ان التكبير لم يعطه أحدٌ قبلكم ، واعلموا انما أعطيتموه تأييداً لكم، ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستم -تكتمل- عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد امر سعد بقراءة سورة الجهاد -وهي سورة الأنفال- فقرئت في كل كتبية، فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قرانتها، ولما فرغ القراء كبر سعد، فكبر الذين يلونه تكبيرة، وكبر بعض الناس بتكبير بعض، فتحشش الناس -تحركوا- ثم ثنى فاستتم الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فانشبوا القتال، وخرج من أهل فارس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب(163).

(وكان ممن أسر قبل التحام الجيشين هرمرز -وكان من ملوك الباب وكان متوجاً- أسره غالب بن عبد الله الأسدي، فجاء به سعداً وأدخله عليه وانصرف غالب إلى المعركة من جديد وخرج عاصم بن عمرو التميمي وهو يقول شعراً يفخر به، فطارد رجلاً من أهل فارس فهرب منه واتبعه حتى إذا خالط صفهم، التقى بفارس معه بغلة، فترك الفارس البغل، واعتصم بأصحابه فحموه واستاق عاصم البغل والرحل حتى أمضى به إلى الصف، فإذا هو خباز الملك وإذا الذي معه لطفُ الملك الاخبصة، أكله تخص الملك وخاصة، والعسل المعقود، فاتى به سعداً، ورجع إلى موقفه، فلما نظر به سعد، قال: انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال : إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه، فنفلهم إياه ، فتغدى عاصم ومن معه بغداء رستم(164).

162 (1) الطبري، 5333 .

163 (2) الطبري، 5365353 .

164 (1) الطبري، 5385373 .

# أيامُ المعركةِ يومى أرماتٍ وأغوات

## يوم أرمات

(ولما استكمل سعد استعداد جيشه بالتكبيرتين الأولى والثانية واندفع الفرسان في التكبيرة الثالثة فانشبوا القتال والتقوا فرسان العدو ورأى سعد ان كل قبيلة قد أخذت موقعها وبدأت تتعامل مع العدو كبر التكبيرة الرابعة تكبيرة الاشتباك، بدأ الاشتباك بين الجيشين عندما خرج من صفوف المسلمين رجل والتحق بالفرس، فاخذوا رايه عن يوجهون إليه هجومهم فأحالهم على بجيلة تطرفوا إليهم ستة عشر فيلاً، فكان ضغط الفيلة على بجيلة كبيراً حتى كادت ان تهلك فأتتهم النجدة من بني أسد فأعانوهم وهنا كبر سعد الرابعة، فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو فقال: يا معشر بني تميم، أستم أصحاب الإبل والخيول؟ أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة، قالوا: بلى والله ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة، فقال لهم: يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل ويا معشر اهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها، الوضين بطن عريض منسوج من سيور أو شعر، وخرج يحميهم والرحى تدور على اسد، ففعل بنو تميم ما امرهم به عاصم، فما بقي لهم يؤمنذ فيل إلا اعري وقتل أصحابها، وتقابل الناس، ونفس عن أسد وردوا فارس عنهم إلى مواقعهم، فاقتتلوا حتى غربت الشمس، ثم حتى ذهب هداة الليل، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء، وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وهذا يومها الأول وهو يوم أرمات(165).

وقد قال أحمد عادل كمال: (حملت أيام القادسية أسماء أرمات وأغوات وعماس، ولم نجد أحداً من الرواة المؤرخين القدماء ولا من الكتاب المحدثين حاول ان يفسر هذه الألفاظ او يقوم لها معنة ، والاسماء الثلاثة ليست أسماء اماكن ، وفي اللغة رمث الشيء بالشيء خاطه، وأرمث الحالب بالضرع أبقى فيه شيئاً وارمث واسترمت في حاله أبقى ونزك، وصل أرمات ورمات حَلَق ونستطيع ان نلمح هذه المعاني في ذلك اليوم فقد اختلطت فيه شدته على المسلمين وعلى المجوس ولم تنتهِ المعركة إلى نتيجة حاسمة شأن كل ما سبق من المعارك التي تنتهي في يوم بل بقي منها شيء للأيام التالية)(166)، هذا ما ذهب إليه في تعلييل تسمية هذا اليوم.

## يوم أغواث

بعد توقف القتال في اليوم الأول من المعركة، استقبل المسلمون والفرس صباح اليوم الثاني -يوم اغواث- والجيشان على تعبئة ، جاء: (ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبئة، وقد وكل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب، ونقل الرثيث -الجريح الذي به رمق- فاما الرثيث فأسلم إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجل واما الشهداء فدفنواهم)(167).

## المدد من الشام

جاء: ( فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر وعليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي، فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث، وقد عهد إلى أصحابه ان يتقطعوا أعشاراً وهم الف كلما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا في آثارهم عشرة فقدم أصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرصهم على القتال، وقال: يا أيها الناس إني قد جئتم في قوم والله إن لو كانوا بمكانكم ثم أحسوكم حظوتها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع)(168).

## بالتارات الجسر

كان القعقاع على عجل من أمره يريد ملاقة العدو وكأنه لم يات من سفر بعيد من الشام إلى القادسية فتقدم طالباً البراز واطمأن المسلمون لتواجد القعقاع معهم ونزلت عليهم السكينة ذاكرين قول أبي بكر فيه لا يهزم جيش فيهم مثل هذا وقوله أيضاً لصوت القعقاع في الجيش خير من الف رجل، جاء (وطلب البراز. فخرج إليه ذو الحجاب -قائد الفرس في معركة الجسر- فقال له القعقاع من انت؟ قال: أنا بهمن جادويه ، فنادى: بالتارات أبي عبيد وسلبظ وأصحاب يوم الجسر! فأجتلدا فقتله القعقاع .. وانكسرت الأعاجم لذلك. وتابع القعقاع طلب المبارزة فخرج إليه رجلان: أحدهما البيبران -أحد قادة فارس- فقتله القعقاع والآخر البندوان فقتله الحارث بن ضبيان اخو بني تيم اللات ، ثم برزت فرسان المسلمين للمبارزة فكان القعقاع يقول لهم: يا معاشر المسلمين باثروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها فتواصي الناس وتشايعوا إليهم فأجتلدوا بها حتى المساء فلم ير أهل فارس شيئاً يعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل،



وذلك لما فعله المسلمون بفيولهم يوم -ارماث- فلقى فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم ارماث(169).

## بطولة نادرة

جاء: (خرج رجل من أهل فارس ينادي: من يبارز فبرز له علياء بن جحش العجلي فأسحره -أي أصاب الرئة- ونفحه الآخر فأمعاه -أي أصاب امعاه-، فأما الفارسي فمات من ساعته وأما الآخر فانتشرت امعاؤه فلم يستطع القيام، فعالج إدخالها فلم يتأت له حتى مر به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا: أعني على بطني، فادخله له، ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه، إلى صف فارس وقال:

أرجو بها من ربنا ثوابا ... قد كنت ممن أحسن الضرابا(170) رحمه الله.

وكان يوم اغواث يوم القعقاع كان مقدمة غوثاً للمسلمين وقتاله نصراً لهم بعون الله لا يرجوا بذلك إلا الجنة من الله تعالى، جاء: (فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها وجعل يرتجز

ويقول: أزعجهم عمدأ بها إز عاجأ .. أظعن طعنأ صانبأ شجاجا .. أرجو به من جنة أفواجا(171).

وقد أبلى المسلمون بلاءاً حسناً مما جعل سعد ينام مطمئناً، جاء: (وقاتلت الفرسان يوم الكتاب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار، فلما عدل النهار تزاحف الناس، فقتلوا بها صتيماً حتى انتصف الليل فكانت ليلة أرماث تدعى الهداة وليلة أغواث تدعى السواد، ثم لم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث في القادسية الظفر، فلما ذهب السواد بات الناس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرماث وقتلوا فيه عامة أعلامهم، وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولا أن خيلهم كرت أخذ رستم أخذاً، فلما أحس سعد وسمع ذلك نام، وقال لبعض من عنده: إن تم الناس على الانتماء فلا توقظني فانهم أقوياء على عدوهم(172).

## أبو محجن الثقفي في المعركة

(كان أبو محجن قد حبسه سعد لذكره الخمر في شعره فلما اشتد القتال طلب من سعد ان يطلقه من سجنه ويسمح له بالقتال فجاء أبو محجن إلى سلمى زوجة سعد فقبلت بعد أن تعهد أن يعود إلى محبسه إن لم يقتل، جاء: (ولما اشتد القتال بالسواد وكان أبو محجن قد حبس وقيد في القصر، فصعد إلى سعد يستغفیه ويستقبله فزيره ورده فنزل فأتى سلمى بنت حفصة فقال: هل لك إلى خير؟ قال: وما ذاك؟ تحلين عني وتعيريني

169 (1) الطبري، 5433 □ 544 .

170 (2) الطبري، 5463 .

171 الطبري، 5463 .

172 الطبري، 5473-548 .

البلقاء - فرس سعد- فالله عليّ إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي فأبت فعاد إلى محبسه  
حزيناً لكن سلمى عادت فأطلقته وأعطته فرس سعد البلقاء، فقاتل قتالاً أذهل من رآه فكان ينتقل بقتاله من  
ميسرة الفرس إلى ميمنتهم فقال بعض المسلمين هو من أصحاب هاشم او هاشم نفسه، وقال سعد لولا محبس  
أبي محجن لقلت هذا أبو محجن، وهذه البلقاء، وقال بعض الناس هذا الخضر، وقال بعضهم: لولا ان الملائكة لا  
تباشر القتال لقلنا انه ملك، فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل  
القصر وأعاد رجله في القيد وقال:

لقد علمت ثقيف غير فر ... بانا نحن اكرمها سيوفا

وأكثرهم دروعاً سابغات ... وأصبرهم إذا كرهوا .. الوقوفا

فلما سمع سعد بما فعله ابو محجن أطلقه وقال له: إذهب فما انا مواخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال أبو  
محجن: لا جرم والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبداً(173).

## نساء في المعركة

لقد صنع الإسلام من العرب أمة ومن الرجال قادة، أما النساء فالمرأة منهن تقانل بزوجها بابنها بأخيها  
تعرضهم على القتال وتدفع بهم إلى ساحة المعركة وتعود إلى الخلف تحفر القبر وتهيي الضماد ولا تدري هل  
القبر لزوجها أم لأبنها أم لأبيها ام انها ستضمد جراح من منهم.  
فهذه سلمى بنت حفصة زوج سعد تذهب بها مشاعرها إلى أن تصرخ بعدما رأت شدة ضغط الفرس على  
المسلمين، وا مثنياه ولا مثني للخيال اليوم تدفع بزوجها سعد إلى المعركة فلطمها فقالت: أغيره -أي من زوجها  
السابق المثني بن حارثة- وجبن/ فقال: والله لا يعذرني اليوم احد إذا أنت لم تعذريني وأنت تعلمين ما بي،  
والناس أحق أن لا يعذروني ما كان سعد جباناً لكنه المرض(174).

(وهذه امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية فقالت لبنيها: إنكم أسلمتم فلم تبدلوا وهاجرتم فلم  
تشوبوا ولم تنب بكم البلاد ثم جنتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس، والله إنكم لبنو رجل  
واحد، كما انكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره(175).  
أما الخنساء فموقفها في القادسية أشهر من نار على علم، فقد جمعت بنيتها وأثارت فيهم كل معاني الرجولة  
والإيمان فقاتلوا حتى استشهدوا جميعهم فقالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجوا من الله ان يجمعني  
بهم في مستقر رحمته.

173 أنظر الطبري 3، 548- 550

174 الطبري 3، 542 .

175 الطبري 3، 544 .

## يومى عماس والقادسية

### يوم عماس

هو اليوم الثالث من المعركة، وكان كل من المسلمين والفرس يرجوا النصر، جاء (ثم أصبحوا وهم على مواقفهم وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان من جريح وميت ومن المشركين عشرة آلاف، فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء والصبيان يحفرون القبور، وأما قتلى المشركين فبين الصفين لم ينقلوا وكان ذلك مما قوى المسلمين)(176).

### القعقاع مرة أخرى

تابع القعقاع خطته فقد بات ليلته تلك يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه في الأمس، وقال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فإن جاء هاشم فذلك وإلا جددتم للناس رجاءً، ففعلوا ولا يشعر به أحد، جاء: (وأصبح الناس على مواقفهم، فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فحين رأهم كبر وكبر المسلمون وقالوا: جاء المدد وكان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها فجاءوا وتقدموا وتكتبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم فأخبر بما صنع القعقاع فعبئ أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن هبيرة المعروف بقيس بن مكشوح المرادي ولم يكن من أهل الأيام، وأهل الأيام هم من قاتل مع خالد بن الوليد في العراق، وعاد ليقاتل مع سعد في القادسية، إنما كان باليرموك فانتدب مع هاشم حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون وقد أخذوا مصافهم قال هاشم: أول قتال المطاردة ثم المراماة، ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى العتيق ثم عاد)(177).

### القبيلة من جديد

جاء : (وقد بات المشركون في علاج توابيتهم حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت القبيلة معها الرجالة يحمونها ان تقطع وضنها، ومع الرجالة فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم، غير ان القبيلة لم تكن كما كان في اليوم الأول وذلك انه إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش وكان كذلك حتى عدل النهار، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعجم فيه على السواء، وكان يزدجرد يرسل بالمدد إلى الفرس فيقوون بهم وكان على علم بما يجري بالمعركة، إذ تصله تباعاً بواسطة الرجال الذين أوكل إليهم نقل أخبار القتال من ساحة المعركة إلى المدائن، ولكن الله عز وجل اعز المسلمين

بالذي ألهم القعقاع في يومي أغواث وعماس، وكذلك بمقدم هاشم بن عتبة بجيشه، وكان قيس بن مكشوح قد خطب المسلمين قائلاً: يا معشر العرب إن الله قد منَّ عليكم بالإسلام وأكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأصبحتم بنعمته إخواناً، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدّون بعضكم على بعض عدو الأسد، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذناب، فانصروا الله ينصركم وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام وانتشال القصور الحمر والحصون الحمر(178).

وكان سعد قد بعث إلى من أسلم من الفرس، ضخم ومسلم ورافع وعشيق وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا فدخلوا عليه فسألهم عن الفيلة: هل لها مقاتل؟ فقالوا: نعم المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو: اكفياني الأبيض، وكانت كلها ألفة له وكان بإزائهما، وأرسل إلى حمّال والربيل: اكفياني الفيل الأجرى فكانت ألفة له كلها وكان بإزائهما، فقام كل من القعقاع وعمرو بفتح عيني الفيل الأبيض فما كان من الفيل إلا أن قبّع ونفض رأسه فطرح سانساه ودلى مشفره، فنفحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه، فقتلوا من كان عليه، وفعل كل من حمال بن مالك والربيل بن عمرو فعلاً في الفيل الأجرى مثل ذلك، فهرب الفيل الأجرى فوثب في العتيق فاتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم فعبرت العتيق في أثره، فأتت المدائن في توأبيتها وهلك من فيها(179).

فلما انتهى المسلمون من أمر الفيلة وتم إخراجها من المعركة اشتد القتال واشتدت وطأة المسلمين على الفرس، جاء: (فلما ذهب الفيلة وخلص المسلمون باهل فارس، ومال الظل تزاحف المسلمون، وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا اول النهار، فاجتلدوا بها حتى امسوا على حرد وهم في ذلك على السواء وتواصل القتال في المساء(180)، جاء: (لما أحس الناس من يومهم ذلك، وطعنوا في الليل، اشتد القتال وصبر الفريقان، فسميت ليلة الهرير، لم يكن قتال بليل بعدها في القادسية(181).

## ليلة الهرير

كانت المبارز في الأيام الثلاثة لصالح المسلمين فأراد رستم في ليلة الهرير الزحف لخوفه من المبارزة على جنده وتقدم المسلمون طلباً للمبارزة فلم يستجب لهم الفرس، جاء: (وخرج مسعود بن مالك الاسدي وعاصم بن عمرو التميمي وابن ذي البردين الهلالي وغيرهم فطاردوا القوم وانبعثوا للقتال فإذا القوم لمة لا يشدون، ولا يريدون غير الزحف فقدموا صفاً واتبعوا آخر مثله وآخر حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفاً في القلب والمجنبتين كذلك، فلما أقدم عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم ثم لحقت بالفرسان الكتائب، فأصيب ليلتذ خالد بن يعمر التميمي فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها وقال متألماً لمقتل خالد:

178 أنظر: الطبري، 5543، الكامل، 4442.

179 الطبري، 3، 554.

180 الطبري، 3، 556.

181 الطبري، 3، 557.

سقى الله باخوصاء قبر ابن يعمر ... إذا ارتحل السفار لم يرتحل  
سقى الله أرضاً حلها قبر خالد ... ذهاب غواد مد جنات تجلجل

فأقسمت لا ينفك سيفي يحسهم ... فإن زحل الأقوام لم أتزحل(182) .

وكان سعد قد أصدر أمره بالزحف بعد أن يكبر ثلاثة تكبيرات لكن المسلمين تعجلوا الزحف، جاء: (حمل الناس ليلة الهرير ولم ينتظروا بالجملة سعداً، وكان أول من حمل القعقاع فقال: اللهم اغفرها له وأنصره، وقال واتيماها سائر الليلة، ثم قال: فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا، فكبر واحدة فلحققتهم أسد، فقيل قد حملت أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وأنصرهم وأسده سائر الليلة، ثم قيل: حملت النخع، فقال: اللهم اغفر لهم وأنصرهم، وانخعا سائر الليلة، ثم قيل حملت بجيلة، فقال: اللهم اغفرها لهم وأنصرهم وابعيلتاه، ثم حملت الكنود، فقيل: حملت كندة، فقال: واكندتاه، ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح. قال أنس بن الخليس: شهدت ليلة الهرير فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً وبات سعد بليلة لم يبيت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط. وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان وجه الصبح، انتهى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلون وان الغلبة لهم. وكان أول شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا معشراً وزنداً ... أربعة وخمسة وواحدا  
نُحسبُ فوق اللبد الأسودا ... حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربي واحترزت عامداً(183) .

وقد سميت ليلة الهرير لأنهم اجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون ، كلامهم الهرير، والهرير صوت الكلب.

## مقتل رستم ونهاية المعركة<sup>ط</sup>

كانت ليلة القادسية - ليلة الهرير- آخر ساعات المعركة والتي انتهت بقتل رستم وهزيمة الفرس وانتصار المسلمين.

وقد أدرك القعقاع ان نهاية المعركة قد اقتربت وان الجانبين قد أصابهم الإرهاق وإن من يصبر يظفر فأراد استثمار هذا الواقع لإنهاء المعركة بنصر حاسم للمسلمين، جاء: (فسار القعقاع في الناس فقال: إن الدائرة بعد

ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر، فأثروا الصبر على الجزع فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح.

فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤسائهم وقالوا: لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم، ولا هؤلاء يعني الفرس- أصبر على الموت منكم، ولا اسخى أنفساً عن الدنيا تنافسوها ، فحملوا فيما يليهم وخالطو من بإزائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، فكان أول من زال الفيرزان، والهرمزان، فتأخروا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب، وركد عليهم النقع، وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة إلى بغال قد قدمت إليه بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل بظل بغل وحمله، وضرب هلال بن علفة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به. ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحم هلال عليه فتناوله وقد عام وهلال قائم وأخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله.

ثم ألقاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير وقال: قتلت رستم ورب الكعبة (إليّ إليّ) فأطافوا به ولا يحسون السرير ولا يرونه وكبروا فنقله سعد سلبه - فلم يبق أمام الفرس إلا الفرار وكان الجالينوس قد نادى الفرس إلى العبور- وأما المقترنون بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر(184) .

(وكان قتال أهل الكتاب من الفرس على وجهين: منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل، وكان ممن هرب الهرمزان .. وآهود وكان بإزاء حنظلة بن الربيع وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم .. وزاد بن بهيش .. وقارن، وهم من قادة الفرس، وكان ممن ثبت وقتل من قادة الفرس شهريار بن كنارا، وابن الهربذ ، والفرخان الاهوازي ، ومنهم خشدسوم(185) ، فكانت نهاية معركة القادسية وكان الزحف نحو المدائن.

# المبحث الثاني

## التحرك نحو المدائن وفتحها

بعد أن منَّ الله على المسلمين بالنصر في القادسية أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح وبعده من قتلوا وبعده من أصيب من المسلمين، وجاء في كتاب سعد: (أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم يرَ الرءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله عز وجل بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الأجام وفي الفجاج وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ □ وهو ممن فر في معركة الجسر وكانت تعرض عليه جبهات أخرى فيأبى إلا جبهة العراق ويقول: لقد اعتد الله عليَّ بها فرة فعسى أن يعتد عليَّ بها كرة- وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليل دوي النحل وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم)(186) بعد أن استقر أمر المسلمين بعد معركة القادسية أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يأمره بمواصلة الفتح وأن يترك النساء والعيال، جاء: ( لما فرغ سعد من أمر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين، وكاتب عمر فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق، وأن يجعل معهم جنداً كثيفاً، وعهد إليه أن يشركهم في كل معتم ما داموا يخفون المسلمين في عيالاتهم، ففعل ذلك)(187).

## يوم بُرس

وكانت أولى المواجهات بين المسلمين والمشركين بعد فراغ سعد من القادسية في بُرس - موضع بأرض بابل-، جاء: ( ثم ان سعداً ارتحل بعد الفراغ من القادسية كله، وبعد تقديم زهرة بن الحوية في المقدمات ... فسار زهرة حتى ينزل الكوفة - والكوفة كل حصانها حمراء وسهلة حمراء مختلطتين- ثم نزل عليه عبد الله بن المغنم وشرحبيل بن السمط، وارتحل زهرة حين نزل عليه نحو المدائن، فلما انتهى إلى بُرس لقيه بها بصيبري في جمع فناوشوه فهزمهم، فهرب بصيبري من معه إلى بابل وبها فالة القادسية - المنهزمون منهم من القادسية- وفيها بقايا رؤسائهم النخيرجان ومهران الرازي والهرمزان وأشباههم، فأقاموا واستعملوا عليهم

الفيروزان، وقدم عليهم بصبهري وكان زهرة قد طعنه في بؤرس فمات بصبهري منها كان في نتيجة المعركة أن بسطام دهقان بؤرس، اعتقد من زهرة وعقد له الجسور واتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل(188).

## يوم بابل<sup>ط</sup>

ولما علم زهرة باجتماع الفرس ببابل أرسل إلى سعد يخبره بالأمر فأرسل له مدداً فقاتلوا المجتمعين ببابل وهزموهم، جاء: (ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فلان القادسية، أقام وكتب إلى سعد بالخبر، ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة، وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيروزان قدم عبد الله وشرحبيل وهاشمًا، ثم ارتحل بالناس فلما نزل عليهم بؤرس، قدم زهرة فأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشمًا، فنزلوا على الفيروزان ببابل، فاقتتلوا ببابل، فهزموهم في أسرع من لفت الرداء فانطلقوا على وجوههم، ولم يكن لهم همّة إلا الافتراق، فخرج الهرمزان متوجهاً نحو الأهواز، وخرج الفيروزان معه حتى طلع على نهاوند، وصمد النخیر جان ومهران الرازي للمدائن حتى عبر أبهرسير إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعوا الجسر، وقد استخلفا على جنودهما شهريار دهقان الباب، ومضيا إلى المدائن وأقام شهريار هناك، فلما التقوا بأكناف كوشي، جيش شهريار وأوانل الخيل فخرج - أي شهريار- فنادى ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إليّ حتى أنكل به، فقال زهرة:

لقد أردت أن أبارزك، فأما إذ سمعت قولك فإني لا أخرج إليك إلا عبداً، فإن أقمت له قتلك إن شاء الله ببيغيك، وإن فررت منه فإنا فررت من عبد، وكأيدته ثم أمر أبا نباته نائل بن جعشم الاعرجي - وكان من شجعان بني تميم- فخرج إليه فمكن الله أبا نباته منه فقتله، وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه، فذهبوا في البلاد وأقام زهرة بكوشي حتى قدم عليه سعد، قالوا: فأقام سعد بكوش أياماً، وأتى المكان الذي جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكوش، وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوساً فنظر إليه وصلى على رسول الله وعلى إبراهيم وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم، وقرأ: ( وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ .. ) آل

عمران: (140)(189).



## فتح بهر سير وهي المدائن الغربية

وهي من نواحي بغداد قرب المدائن، هي في الضفة الغربية من نهر دجلة مقابل المدائن، جاء: (ثم ان سعداً قدم زهرة إلى بهر سير فمضى في المقدمات فتلقاه شيرزاد دهقان ساباط بالصلح فأرسله إلى سعد فصالحه على تأدية الجزية، ولقي زهرة كتيبة بنت كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون كل يوم أن لا يزول ملك فارس ما عشنا فهزمهم، وقتل هاشم بن عتبة - وهو ابن أخي سعد المقرط وهو أسد كان لكسرى قد ألفه- فقبل سعد رأس هاشم وقبل هاشم قدم سعد، وأرسله سعد في المقدمة إلى بهر سير فنزل وقرأ: ( أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ) ، وتقدم هاشم إلى بهر سير ووصلها سعد والمسلمون فرأوا الإيوان "إيوان كسرى على الجانب الآخر من النهر " فقال ضرار بن الخطاب: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعد الله ورسوله، وكبير وكبير الناس معه، وكان نزولهم عليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة من الهجرة) (190).

ولقد أراد الفرس أن يقع الصلح بينهم وبين المسلمين فأجابهم من المسلمين رجلاً بالفارسية بما لا يفهمه هو ولا المسلمين فهربوا من المدينة، جاء: (واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية، وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم فبينما هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول الملك، فقال: الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم ، فقال لهم أبو مفرز الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية التي فيها الإيوان فقال له من معه: يا أبا مفرز ما قلت له؟ قال: والذي بعث محمداً بالحق ما أدري، فأنا أرجو أن أكون قد نطقت بالذي هو خير، وسأله سعد عما قال فلم يعلم، فنادى سعد في الناس فنهدوا إليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجل إلا رجل ينادي بالأمان فأمنوه، فقال لهم: ما بقي بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيئاً ولا أحداً إلا أسارى وذلك الرجل، فسألوه لأي شيء هربوا؟ فقال: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتهم أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أريدون بانزح كوشي فقال الملك: يا ويلتيه إن الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا وتجيبنا عن العرب فساروا إلى المدائن القصوى فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل) (191).

## فتح المدائن عاصمة كسرى وفيها قصره

بعد أن أستولى المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص على بهر سير وهي المدائن الغربية ويفصل بينها وبين العاصمة المدائن الشرقية نهر دجلة وقد أقام سعد عدة أيام في بهر سير الا أن عزم على العبور فخطب بالمسلمين قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه: ( ان عدوكم قد اعتصم منكم في هذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فناوشوهم في سفنهم وليس ورائكم شيء تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم - أي المدافعين عنهم - وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنباتكم قبل أن تحصدكم الدنيا ألا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم فقلوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فأفعل فندب سعد الناس إلى العبور ويقول من يبدأ ويحمي الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟

فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات، فاستعمل عليهم عاصماً .. - والفراض جمع فرضة، وهي ثغور المخاضة من الناحية الأخرى ويسمى بالمصطلحات العسكرية الحديثة رأس جسر - فسار عاصم فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة وقال: من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون، ثم اقتحوا دجلة واقتحم بقية الستمائة على أثرهم، فلما رأهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعداً مثلها فاقتحموا عليهم دجلة فتلقاهم المسلمون وقاتلوهم في النهر فهزم الله عز وجل الفرس واستولى عاصم على الفراض فلما رآه سعد أذن للناس في الاقتحام وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعبر الجيش النهر وكان عبورهم معجزة ظهر فيها تأييد الله سبحانه وتعالى لجنده إذ أن دجلة لترمي بالزبد وإنها لمسودة وإن الناس أيتحدثون وقد أقتربوا ما يكثرثون كما يتحدثون في مسيرهم على الأرض ففجئوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم(192)، جاء: (فلما رأى الفرس ذلك وآتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله إلى حلوان قبل ذلك) (193)، وكان بعض من فرسان الفرس يقاتلون عند الفراض، جاء: (فلما ركبوا المسلمون خرجوا هرباً وخيلهم على الشاطئ يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور، فاقتتلوا هم والمسلمون قتالاً شديداً حتى ناداهم مناد: علام تقتلون أنفسكم؟ فوالله ما في المدائن من أحد فانهزموا واقتحمتها الخيول عليهم وعبر سعد في بقية الجيش(194).

وجاء: (وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال وهي كتيبة عاصم بن عمرو ثم كتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو فأخذوا في سككها لا يلقون أحداً يخشونه إلا من كان في القصر الأبيض فأحاطوا بهم ودعوهم

192 (1) الطبري، 9/4، 10 ، الكامل، 4732- 474 .

193 (2) الكامل، 4742 .

194 (3) الطبري، 134 .

فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة، ونزل سعد القصر الابيض ولما دخل سعد الإيوان قرأ: ( كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ & زُرُوعٍ .. ) إلى قوله: ( قَوْمًا آخَرِينَ ) ، الدخان: 25- 28 ، وصلى فيه صلاة ثمانى ركعات لا يفصل بينهم ولا يصلي جماعة وأتم الصلاة لأنه نوى الإقامة وكانت أول جمعة بالعراق ( وجمعت بالمداين في صفر سنة ست عشرة ) (195).

وكان مما غنم المسلمون بعد نصر الله لهم وفتح المدائن، ( قباباً تركية مملوءة سلالاً مختومة برصاص فيها آنية الذهب والفضة وأخذوا المسلمون بغلاً وقع في الماء فإذا فيه حلية كسرى، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر، وكان يجلس فيها للمباهاة.

واستولى المسلمون على بغلين فإذا حملهما سفطان فيهما تاج كسرى مرصعاً وفيه الجوهر وثياب كسرى وكذلك استولوا على سلاح كسرى ودرعه ودروع عدد من الملوك كانت في المدائن وتمثيل من ذهب وفضة، وغيره الكثير الكثير وجمع كل هذه الغنائم عند صاحب الاقباض - وهو خازن هذه الأموال- وقد بلغ من أمانة المسلمين أن أحدهم أقبل بحق إلى صاحب الاقباض فقال هو ومن معه:

( ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ) فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: والله لولا الله ما أتيتكم به، فقالوا: من أنت؟ فقال: والله لا أخبركم فتحمدوني ولا غيركم ليقرضوني ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، قال سعد في جيشه: والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت إنهم على فضل أهل بدر، وقال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله: والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، وقال عمر لما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وبزبرجده: إن قوماً أدوا هذا لذو أمانة، فقال علي رضي الله عنه: إنك عفتت فعفت الرعية) (196).

نعم أنهم لم ينتصروا بقوة سلاح أو كثرة عدد ولكن نصرهم الله بإيمانهم وأمانتهم وبصدقهم مع الله جل شأنه، وبأخذهم بكل الأسباب المادية المتوفرة لديهم متمثلين قول الله تعالى: ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ) (197)، فهل لنا عودة إلى ما كانوا عليه فيعود الله سبحانه وتعالى علينا بنصره، اننا نستبشر بما هو قادم بعد أن أسقط الله تعالى معظم منطلقات الضلال التي انخدعت بها أمة العرب والمسلمين بأنها السبيل لوحدة الأمة وقوتها فإذا بها سراب يحسبه الضمان ماءً فلما أتاه فلم يجده شيئاً.

بعد هزيمتهم وهربهم من المدائن أرادوا إعادة الكرة على المسلمين لعلمهم يحققوا نصراً يعيد لهم بعض الأمل بالثبات ومن ثم استرجاع بعض ما خسروه من البلاد.

195 (4) الطبري، 16-144 .

196 (1) الطبري، 20-164 ، الكامل 472- 479 .

197 (2) سورة الأنفال : 68 .

# المبحث الثالث<sup>ط</sup>

## من المدائن إلى نهاوند

### وقعة جلولاء وفتح حلوان<sup>ط</sup>

جاء: (وكان من حديث أهل جلولاء أن الأعاجم لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء تذا مروا وقالوا: إن أفرقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرق بيننا فهلما فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا)(198).

جاء: (واحتفروا خندقاً واجتمعوا فيه على مهران الرازي، وتقدم يزدجر إلى حلوان فنزل بها ورماهم بالرجال وخلف فيهم الأموال فأقاموا وأحاطوا خندقهم بمسك الحديد إلى طرفهم، فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر فكتب إليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة، وسار هاشم من المدائن باثنتي عشر ألفاً منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن كان ارتد ومن لم يرتد فسار من المدائن فمر ببيابل مهروذ فصالحه دهقانها ثم مضى حتى قدم جلولاء فحاصروهم في خنادقهم ودام الحصار نحو ثمانين يوماً والمدد يأتي من يزدجر إلى الفرس ومن سعد إلى المسلمين وخرجت الفرس فأقتلوا فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد فتجاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق، وبلغ ذلك المسلمين فهضوا إليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً لم يقاتلوا مثله إلا ليلة الهرير إلا أنه كان أعجل، وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به فأمر منادياً فنادى يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل الخندق فأقبلوا إليه فحملوا فلم يحميهم حتى انتهوا إلى باب الخندق فإذا هم بالقعقاع بن عمرو، وقد أخذ به فانهزم المشركون وقتل منهم الكثير وسميت جلولاء لكثرة من قتل فيها من المشركين وواصل القعقاع تقدمه حتى بلغ خانقين، فلما بلغت يزدجر الهزيمة سار من حلوان نحو الري وقدم القعقاع حلوان فنزلها واستولى المسلمون عليها وقد أرسلوا إلى عمر بالفتح ونزول القعقاع حلوان وأستاذنوه في اتباعهم فأبى وقال: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد أني آثرت سلامة المسلمين على الانفال وأدرك القعقاع مهران بخانقين فقتله وهرب الفيرزان، وتوغل في الجبل فتحامى، وجمعت الغنائم وقسمت وقيل إن الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف، وبعث سعد بالأخماس إلى عمر وقسمه عمر بين المسلمين)(199).

198 (1) الطبري 4/ 24 ، الكامل 2/ 479 .

199 (1) الطبري ، 34-244 ، الكامل 2/ 479- 482 .

## فتح ماسبذان<sup>ق</sup>

هي أحد فروج الكوفة، وهي بالقرب من هيت، جاء: (بلغ سعداً أن أذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم إلى السهل فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جند فخرج ضرار بن الخطاب وهو أحد بني محارب ابن فهر في الجند وقدم ابن الهذيل الاسدي حتى انتهى إلى سهل ماسبذان فألتقوا بمكان يدعى بهندف، فأقتتلوا بها، فأسرع المسلمون في المشركين، وقتل أذين وأخذ ماسبذان عنوة فتطير أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له)(200)، (وكذلك تم الاستيلاء على قرقيسيا بقيادة عمر بن مالك بن عتبة ويكون بذلك أن الفرس قد خرجوا من العراق وضم ما كان بين أيديهم في العراق إلى الدولة العربية الإسلامية وتراجع الفرس إلى الجبال الإيرانية)(201).

## حركة الفتح قبل نهاوند<sup>ق</sup>

بعد واقعة جلولاء أرسل سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن الخطاب عمرو بن مالك بن عتبة إلى هيت فتجاوزها بعد ما ترك فيها نصف جيشه إلى قرقيسيا ففتحها عنوة فأجابوه إلى الجزية .  
فتح سوق الأهواز ومناذر ونهرتيري :  
(كان والي البصرة عتبة بن غزوان وكان الهرمزان من منطقة الأهواز وقد توجه إليها بعد هزيمته يوم القادسية وكانت أمته - قبيلته - منهم فملكهم وقاتل بهم من إزائهم فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودشيمان من وجهين من مناذر - وهي قرية من كور الأهواز - ومن نهرتيري - وهو كذلك من كور الأهواز - مما دعا عتبة بن غزوان أن يطلب المدد من سعد بن أبي وقاص فأمدته سعد بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودشيمان حتى يكونا بينهم وبين نهرتيري ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة - وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلا حدود أرض ميسان ودشيمان بينهم وبين مناذر وكان سلمى وحرملة قد دعوا بني العم وهم من قبيلتهم بنو العم وهو مرة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم لنصرهما فاستجاب لهما قومهما وتواعدا مع قومها ليلة فلما كانت تلك الليلة خرج المسلمون والتقوا بالهرمزان صبيحة تلك الليلة وكان كل من غالب وكليب زعيما بني العم قد استولى على مناذر ونهرتيري واتي الهرمزان الخبر بذلك فحسر الله بذرعه وذرع جنوده وهزمه وإياهم، فقتلوا منهم ما شاءوا وأصابوا منهم ما شاءوا واتبوعهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا ما دونه وعسكروا بجبال سوق الأهواز وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام بها، وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين، ولما علم الهرمزان أنه لا طاقة له بالمسلمين طلب الصلح فأجيب إلى طلبه وصالحه المسلمون على أن يبقى نهرتيري بيد المسلمين

وأمرها إلى كليب ومناذر وأمرها إلى غالب وكذلك وما غلبوا عليه من سوق الأهواز للمسلمين أيضاً) (202)،  
(فبقوا كذلك إلا أن وقع خلاف بين الهرمزان وكل من غالب وكليب وكان الهرمزان غير محق فتمرد ومنع ما  
قبله واستعان بالکرد وتجهز للقتال وكان بينه وبين المسلمين جسر سوق الأهواز وأرسلوا إلى الهرمزان إما أن  
تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم فقال: اعبروا إلينا فعبروا من فوق الجسر فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق  
الأهواز حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز، وأصبحت سوق الأهواز بيد المسلمين إلى تستر وأقام  
الهرمزان برامهرمز) (203).

## فتح رامهرمز وتستر وأسر الهرمزان<sup>ط</sup>

كان يزيدجرد يأمل بعودة سيطرته على ما فقد من البلاد فكان يلهب مشاعر الفرس ويدعوهم إلى استرجاع ما  
فقد منهم، جاء: (ولم يزل يزيدجرد يشير أهل فارس أسفاً على ما خرج منهم، فكتب يزيدجرد إلى أهل فارس وهو  
يومئذ بمرو ويذكرهم الأحقاد ويؤنبهم، أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما وألاه،  
والأهواز ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم فتحركوا، فتحركوا وتكاتبوا أهل فارس وأهل  
الأهواز، وتعاهدوا وتعاهدوا على النصرة) (204)، فعلم المسلمون بذلك وأرسلوا إلى عمر وإلى المسلمين  
بالبصرة بالخبر وان الفرس قد تعاهدوا أو تعاهدوا على حرب المسلمين فكان أمر عمر بن الخطاب إلى سعد  
ببعث النعمان بن مقرن بقوة كبيرة، وأن يعجل بإرسال طلائع تلك القوة بقيادة سويد بن مقرن وغيره من القادة،  
حتى يكونوا بإزاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً  
وأمر عليهم سهل بن عدي، وابعث معه البراء بن مالك وعاصم بن عمرو ومجزأة بن ثور وغيرهم من القادة  
من أهل البصرة والنعمان بن مقرن على أهل الكوفة وكان على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن  
أبي رهم وكل من أتاه مدد له.

جاء: (وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان، ثم أخذ البر إلى  
الأهواز على البغال وانتهى إلى نهري فجازها ثم جاز سوق الأهواز ثم سار نحو الهرمزان - والهرمزان  
يومئذ برامهرمز- ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ورجا أن يقطععه، وقد طمع الهرمزان  
بنصر فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل إمدادهم بتستر- أي الفرس لينصروا الهرمزان- فالتقى النعمان  
والهرمزان بأربك، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم أن الله عز وجل هزم الهرمزان للنعمان، وأخلى رامهرمز وتركها  
ولحق بتستر، سار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز فأقام بها) (205).

202 (1) الطبري، 724- 74 .

203 (2) الطبري، 764 .

204 (3) الطبري، 834 .

205 (1) الطبري، 844 ، الكامل، 5042 .

## المعارك حول تستر<sup>ق</sup>

(وأتاهم الخبر ان الهرمزان قد لحق بتستر فانطلق النعمان من رامهرمز إليها والتحق به القادة الآخرون فنزلوا جميعاً على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق وكان النعمان على أهل الكوفة وأبو موسى على أهل البصرة وعلى الفريقين جميعاً أبو سيرة، فحاصروهم أشهراً، وأكثروا فيهم القتل، ظهرت بطولات الرجال وفي مقدمتهم البراء بن مالك ومجزأة ابن ثور وكعب بن سور وأبو تميمية من أهل البصرة ومن الكوفيين حبيب بن قرّة، وربعي بن عامر وعامر بن عبد الأسود وغيرهم، وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفاً في حصارهم، يكون عليهم مرة ولهم أخرى، حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون : يا براء، اقسم على ربك ليهزمنهم لنا، فقال: اللهم اهزمهم لنا واستشهدني، قال فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم وارزوا إلى مدينتهم، وأطاحوا بها(206).

## فتح تستر وأسر الهرمزان

جاء (وأحاط المسلمون بها -أي تستر- فبينما هم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم -أي الفرس- خرج رجل إلى النعمان يستأمنه على أن يدلّه على مدخل يدخلون منه فأمنه النعمان فدلّهم قانلاً: أنهدوا من قبل مخرج الماء فإنكم تقتحمونها.

فأنتدب الناس من أهل الكوفة والبصرة فساروا مع الرجل فدلّهم على المدخل إلى المدينة، فدخلوا في السرب وباقي الجيش في خارج المدينة، فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الأبواب فأجتلدوا فيها فاناموا كل مقاتل، وقصد الهرمزان القلعة فقصى بها وأطاف به الذين دخلوا فنزل إليهم على حكم عمر فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله تعالى عليهم .

وقتل من المسلمين في تلك الليلة بشرٌ كثير وكان البراء بن مالك ممن استشهد، قتله الهرمزان بنفسه وكان

البراء بن مالك مُستجاب الدعوة، فهزم الله بدعوته الفرس ورزقه الشهادة(207).

## الهرمزان بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>ق</sup>

لقد نقض العهد الهرمزان أكثر من مرة ولما حوَصر في الحصن واشترط أن يسلم نفسه على أن ينزل على حكم عمر أجابوه على ذلك وأوصلوه إلى المدينة المنورة دون أن يمس بسوء فلما أصبح بين يدي عمر قال عمر: (هيه يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله، فقال: يا عمر: إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا ثم قال عمر: ما عذرك وما حجتك في انتفاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن

أخبرك، قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء فأتي به فجعلت يده ترتجف وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيذوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء إنما أردت أن استأمن به فقال عمر: إني قاتلك، قال: لقد آمنتني، فقال: كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد أمنتته، قال: ويحك يا أنس، أنا أو من قاتل مجزأه والبراء؛ والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبك! قال: قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم ففرض له على الفين وأنزله المدينة(208).

بهذا العدل وبهذا الصدق نصر الله تعالى المسلمين فأنس هو أخ للبراء بن مالك الذي قتله الهرمزان ولكن ذلك لم يمنعه من قول الحق والحفاظ على حياته ولم يمنع عمر أن ينقاد إلى الحق لعدو قاتله، ونقض العهد أكثر من مرة حتى وإن كان الحق بخديعة، وعندما أصبح مسلماً كان أخ له ما لهم وعليه ما عليهم.

## فتح السوس

(بعد هزيمة الفرس في جلولاء غادر يزيدجرد حلوان متوجهاً إلى أصطخر ونزل بها ووجه سياه إلى السوس وكان أبو موسى محاصراً للسوس، وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول الملك يزيدجرد أصطخر منهزماً فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح فصالحهم وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبانية، وقد عظم أمر المسلمين عنده، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهان فقال: لقد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة، وثروت دوابهم في إخوانات أصطخر ومصانع الملوك ويشدون خيولهم بشجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، وليس يلقون جنداً إلا فلوه، ولا ينزلون حصناً إلا فتحوه فأنظروا لأنفسكم، قالوا: رأينا رأيك، قال فليكني كل رجل منكم حشمه والمنقطعين إليه، فإني أرى أن ندخل في دينهم، ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى يأخذ شروطاً على أن يدخلوا الإسلام فقدم شيرويه إلى أبي موسى فقال: إنا قد رغبنا في دينكم وقدموا شروطاً على أن يرفعها إلى من فوقه فرفعها إلى عمر بن الخطاب فكتب عمر إلى أبي موسى: أعطهم ما سألوكم، فكتب أبو موسى لهم: فأسلموا وشهدوا معه حصار تُسْتَر، وقد حاصر أبو سبرة ومعه النعمان السوس، وقد حاول الرهبان والقس أن يوهنوا عزيمة المسلمين بفتح السوس بأن لا يفتح السوس إلا الدجال وقوم معهم الدجال فتقدم من المسلمين رجل فضرب باب السوس برجله فانفتح ودخل المسلمون، فألقى المشركون بأيديهم وتنادوا الصلح الصلح فأجابوهم إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح(209).



## مصالحة المسلمين أهل جندي سابور<sup>ؓ</sup>

جاء: (لما فرغ أبو سبرة من السوس خرج في جنده حتى نزل على جندي سابور، وزر بن عبد الله بن كليب فحاصروهم فأقاموا عليها يغادوهم ويرأحوونهم القتال، فما زالوا مقيمين عليها حتى رمي إليهم بالأمان من عسكر المسلمين، فلم يفجأ المسلمين إلا وأبوابها تفتح ثم خرج السرح، وخرجت الأسواق وانبت أهلها، فأرسل المسلمون: أن ما لكم؟ قالوا: رميتم إلينا بالأمان فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا فقالوا: ما فعلنا؟ فقالوا: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم فإذا عبد يدعي مكيفاً كان أصله منها، هو الذي كتب لهم، فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: إنا لا نعرف حركم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل فإن شئتم فأغدروا فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: ان الله عظم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، ما دمتم في شك أجزوهم، وفوا لهم فوفوا لهم وانصرفوا عنهم) (219).

هذا أهم ما وقع بين المسلمين والفرس قبل معركة نهاوند .

## نهاوند المعركة<sup>ؓ</sup>

### عمر بن الخطاب يأمر بالتوجه إلى نهاوند<sup>ؓ</sup>

جاء: (ان النعمان بن مقرن كان عاملاً على كسكر فكتب إلى عمر يخبره ان سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج، وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه، فكتب عمر إلى سعد: ان النعمان كتب إلي يذكر انك استعملته على جباية الخراج وانه قد كره ذلك، ورغب في الجهاد فابعث به إلى أهم وجوهك إلى نهاوند وكتب عمر إلى النعمان بن مقرن: ( بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو: أما بعد، فإنه قد بلغني أن جموعاً من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاكم كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطنهم وعرأ فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلنهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار، والسلام عليكم) (211).

أما الفرس فإنهم يطمحون إلى سابق عهدهم وعودة ملكهم واستعادة البلاد التي استولى عليها المسلمون في العراق وبلاد فارس، جاء: (ان الذي هاج أمر نهاوند أن أهل البصرة أشجوا الهرمزان واعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء، ووطنوا أرض فارس كاتبوا ملكهم، وهو يومئذ بمروا، فحركوه، فكاتب الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخراسان وحلوان، فتحركوا وتكاتبوا، وركب بعضهم إلى بعض، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند،

ويبرموا فيها أمورهم فتوافى إلى نهاوند أوائلهم(212)، وجاء: (وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزيد جرد الملك فتوافوا إلى نهاوند، .. ثم أنهم قالوا: ان محمداً الذي جاء العرب بدين لم يرض غرضنا، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يرض غرض فارس إلا في غارة تعرض لهم فيها وإلا فيما يلي بلادهم من السواد، ثم ملك عمر من بعده، فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز، وأوطأها، ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عُقر دارهم، وهو آتيكم إن لم تأتوه، فقد أخرج بيت مملكتكم، واقتحم بلاد ملككم، وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتقلعوا هذين المصريين، ثم تشغلوه في بلاده وقراره، وتعاهدوا وتعاهدوا، وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً وتمائنا عليه(213).

أما المسلمون فبعد أن علموا بما اجتمع عليه الفرس أرسل سعد بن أبي وقاص كتاباً إلى عمر بالخبر ومن ثم توجه إلى المدينة بعد عزله والتقى عمر وأخبره مشافهة فما كان من عمر إلا أن جمع أهل الرأي في المدينة فقال لهم: (هذا يوم له ما بعده وقد هممت أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه فأنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصريين ثم أستنفرهم وأكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب فإن فتح الله عليهم اضربهم عليهم في بلدانهم .. وقد أخذ برأي علي بن طالب إذ قال له: إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا هذا أمير المؤمنين أمير العرب وأصلها فكان ذلك أشد لكليهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر، فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه فلما قال عمر: أشيروا عليّ برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقياً فقالوا: أنت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم فقال: والله لأولين أمرهم رجلاً يكون أول الأسنة إذا لقيها غداً فليل: من هو؟ فقال: النعمان بن مقرن المزني، فقالوا: هو لها، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى ماء لتجتمع الجيوش عليه، فإذا اجتمعوا إليه سار بهم إلى الفيرزان ومن معه(214).

## المعركة

وكان الفرس قد اجتمعوا في أسبيزهان وأميرهم الفيرزان فانتهى المسلمون إليهم، فما كان من النعمان وكما جاء إلى أن: (كبر النعمان وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجم وحطت العرب الأثقال وضرب فسطاس النعمان .. وأنشب النعمان القتال بعدما حط الأثقال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج فخاف المسلمون أن يطول أمرهم(215).

212 الطبري، 1204 .

213 الطبري، 1224 .

214 أنظر : الطبري 1234-126 .

215 الطبري، 1284-129 .

## حيلة تخرج الفرس

فلما طال حصار المسلمين للفرس والفرس يختارون وقت الخروج للقتال أو عدم ذلك احتال المسلمون لإخراجهم، جاء: (تجمع أهل الرأي من المسلمين فتكلموا وقالوا: نراهم علينا بالخيار، وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي روي فيه فأخبروه فقال على رسلكم لا تبرحوا فبعث إلى من بقي من أهل التجارات والرأي فأحضرهم فتكلم النعمان فقال: قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وأنهم لا يخرجون إلينا إلا إذا شأوا ولا يقدر المسلمون على إخراجهم، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق، فما الرأي الذي به نستخرجهم إلى المناجزة وترك التطويل؟

وبعد التشاور استقر رأيهم على أن يبعثوا خيلاً لينشبو القتال فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطراداً فإننا لم نستطد لهم في طول ما قاتلناهم فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفيما ما أحب، فكان الذي أنشب القتال بأمر من النعمان القعقاع بن عمرو فأخرجهم من خنادقهم فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الأعاجم وقالوا: هي هي فلم يبق إلا من يقوم على الأبواب وركبهم، ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبيتهم في يوم الجمعة صدر النهار وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأمرهم بذلك ولما أصابت الجراح المسلمين قالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم إنذن للناس في قتالهم، فقال: رويداً رويداً وانتظر النعمان بالقتال أحب الساعات كانت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي العدو فيها وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح فلما كان قريباً من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرصهم ويمنيهم الظفر وقال لهم: إني مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا وإن قتلت فالأمير بعدي حذيفة وعد سبعة آخرهم المغيرة بن شعبة ثم قال: اللهم أعزز دينك وأنصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك وأنصر عبادك فبكى الناس) (216).

الله أكبر بهذه الروح كان نصر الله للمسلمين لقد كان النعمان على الجهاد حريصاً عندما استعفى عن مسؤولية جباية الأموال وكان متمسكاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما انتظر أحب الأوقات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لينشب القتال برغم الجراح التي أصابت المسلمين وكان سعيه لنصر دين الله بنصر المسلمين والجائزة التي ينتظرها أن يرزقه الله الشهادة في سبيله وأن يعز دينه وينصر عباده، فكان ما أراد، جاء:

(فكبر ثلاثاً - أي النعمان- والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها وما كان يسمع إلا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً وانهزم الأعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتماد ما طبق أرض المعركة

دماً يزلق الناس والدواب فيه، فلما أقر الله تعالى عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيداً زلق به فرسه  
فصرع، وقيل بل رمى بسهم في خاصرته فقتله، فسجاه أخاه نعيم بثوب وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة  
فأخذها وتقدم إلى موضع النعمان وقال لهم المغيرة:

اكتموا مصاب أميركم ما يصنع الله فينا وفيهم لنلا يهن الناس، وانتهت المعركة بنصر المسلمين وفرار الفرس  
بعد أن قتل منهم الكثير وفر الفيرزان قائدهم مع مَنْ فر من المعركة فلحقه القعقاع حتى أدركه فقتله المسلمون،  
ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل: هذا أميركم قد أقر  
الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة، فاتبعوا حذيفة ودخلوا نهاوند يوم الواقعة بعد الهزيمة(217).

## الخبر في المدينة المنورة<sup>ط</sup>

(وكان السائب بن الأقرع هو صاحب الأقباط - الغنائم - فقدم بالخمس إلى المدينة وكان عمر يخرج يتوقع  
الأخبار فلما أتاه السائب قال: ما وراءك؟ قال السائب: خيراً يا أمير المؤمنين فتح الله عليك وأعظم الفتح  
واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى فنشج حتى بانث فروع كتفيه فوق  
كفده، قال فلما رأيت ذلك وما لقي قلت: يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه، فقال: أولئك  
المستضعفون من المسلمين وما يصنع أولئك بمعرفة عمر، وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند - فتح الفتوح -  
لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم(218).

وبعد نهاوند دخل الكثير من الفرس في صلح مع المسلمين، وكانت وقعة نهاوند في سنة 21 للهجرة النبوية  
الشريفة.

عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد معركة نهاوند وانتصار المسلمين فيها وحتى نهاية  
توطد سلطة المسلمين في تلك المناطق وبدأت عمليات ضم المدن من نهاوند وقد تم ضم معظمها صلحاً.  
جاء: (لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاء مدداً على بعث أهل البصرة فمر بالدينور فأقام عليها  
خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وكذلك مدينة مهرجان  
قذق)(219).

217 الكامل، 11-103 .

218 الكامل، 123 .

219 الكامل، 133 .

# المبحث الرابع

ما بعد نهاوند إلى مقتل يزيد جرد

ونهاية الدولة الساسانية

فتح همدان

حاصر نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو همدان بعد معركة نهاوند ولجوء من فر منها إلى همدان وكان قائد الجيوش بعد النعمان بن مقرن، حذيفة بن اليمان، جاء: (وقد كان حذيفة اثنع الفالة - فالة نهاوند - نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فبلغا همدان فصالحهم خسروشنوم فرجعا عنهم وكان كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن أن سر حتى تأتي همدان فخرج نعيم بن مقرن حتى نزل ثنية العسل - سميت بثنية العسل حيث استولوا على حوامل تحمل العسل وكانت سبباً بإعاقه الفيرزان الهارب من نهاوند فأخذه المسلمون وقتلوه- ثم خرج نعيم من الثنية حتى نزل على مدينة همدان، وقد تحصنوا منهم -أي من المسلمين- فحصرهم فيها وأخذ ما بين ذلك وبين جرميدان واستولوا على بلاد همدان كلها، فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح، وقبل منهم الجزاء على المنعة وقد اجتمع بعد الاستيلاء على همدان الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان وكان من قادتهم باز أخو رستم جاء بأهل أذربيجان وجاء الخبر إلى نعيم بن مقرن وهو في همدان فخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم - بواج الروز- فاقتتلوا بها قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكن دونها، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار، وقد كتبوا إلى عمر بإجتماعهم ففرع منها عمر واهتم بحربها، وتوقع ما يأتيه عنهم فلم يفجأه إلى البريد بالبشارة، فقال عمر: رسول نعيم؟ قال: رسول نعيم، قال: الخبر؟ قال: البشرى بالفتح والنصر، وأخبره الخبر، فحمد الله، وأمر بالكتاب فقري على الناس، فحمدوا الله)(220).

## فتح الري

بعد الانتهاء من همدان وما بعدها توجه نُعيم إلى الري، وكان في الري - الزينبي أبو الفرخان - وكان مع باذ أخو رستم في قتاله لنعيم بن مقرن بعد همدان، جاء: (ثم انصرف نعيم من بواج روذ حتى قدم الري وخرج الزينبي أبو الفرخان من الري فلقى نعيماً طالباً الصلح ومخالفاً لملك الري سیاوخش بن مرهان بن بهرام بن جوبين فاستمد سیاوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس، وجرجان فأمدوه خوفاً من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري إلى جانب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي قال لنعيم: ان القوم كثير وانت في قلة فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلاً من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بيتاً فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا وأفاء الله على المسلمين بالري نحواً من في المدائن وصالحه الزينبي على الري ومرزبه عليهم نعيم - أي جعله مرزبان- وكتب نعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس، وقد فتحت بعدها كل قومس صلحاً وفتحت جرجان صلحاً وفتحت طبرستان صلحاً كذلك)(221).

## فتح أذربيجان

بعد فتح همدان والري بعث نعيم بن مقرن سماك بن خرشة الأنصاري مدداً إلى بكير بن عبد الله بأذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث إليها سار حتى إذا طلع بجال جرميذات طلع عليهم اسفندياز بن الفرخزاد مهزوماً من واج روذ فكان أول قتال لقيه بأذربيجان فاقتتلوا فهزم الله جند اسفندياز وأخذ اسفندياز أسيراً، جاء: ( وأخذ بكير اسفندياز أسيراً فقال له اسفندياز: الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ ، قال: بل الصلح، قال فأمسكني عندك فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء لم يقيموا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما فأمسكه عنده وقدم عليه سماك بن خرشة مدداً وقد أفتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وتولى قيادة جيش المسلمين في أذربيجان عتبة بن فرقد بعد أن استعفى بكير من عمر وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وهزم عتبة بن فرقد بفضل الله هزم بهرام بن الفرخزاد أخو اسفندياز الأسير عند المسلمين وتم الصلح بعد ذلك وعادت أذربيجان سلماً وكتب عتبة بن فرقد بينه وبين أهل أذربيجان كتاباً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان - سهلها وجبلها وحواشيها وشغارها وأهل حللها- كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، على أن

يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن -الضعيف- ليس في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبد متخل ليس في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالاته ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه (222).

## فتح الباب

كان صاحب الباب الملك شهربراز وكان عمر قد أمر سراقه بن عمرو بالتوجه إلى الباب، جاء: ( فقدّم سراقه عبد الرحمن بن ربيعة وخرج من أذربيجان نحو الباب فلما أطل عبد الرحمن بن ربيعة بالباب والملك يومئذ شهربراز رجل من أهل فارس، فكاتبه شهربراز واستأمنه على أن يأتيه ففعل فاتاه وقال: إنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصفوي -ميلي- معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون فلا تدلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فأرسله عبد الرحمن إلى سراقه فلقبه بمثل ذلك فقال سراقه: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض، فقبل ذلك وكتب له سراقه كتاباً بذلك، وقد تم فتح موقان بعد ذلك على يد بكير بن عبد الله وقبل الجزية (223).

## الفتوح بعد الباب

جاء: (بعد ما استولى المسلمون على جلولاء أخذ يزيدجرد ملك الفرس ينتقل من بلد إلى آخر حتى أتى مرو وكاتب من مرو من بقي من الأعاجم فيما لم يفتتحه المسلمون ودانوا له فأمر عمر المسلمين بالتوغل في أرض فارس فخرج الأحنف بن قيس إلى خراسان فدخل خراسان وافتتح هراة عنوة وأرسل إلى نيسابور - وليس دونها قتال- مطرف بن عبد الله، وكان الأحنف قد توجه إلى مرو الشاهجان وكان بها يزيدجرد فخرج منها يزيدجرد نحو مرو الروذ واستولى الأحنف على مرو الشاهجان وخرج الأحنف إلى مرو الروذ حتى إذا بلغ ذلك يزيدجرد خرج إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ وكان أهل الكوفة قد توجهوا إلى بلخ فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببليخ فهزم الله يزيدجرد وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعبه وكان يزيدجرد قد استنجد بالترك فأنجده خاقان - والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك-

فأقبل بالترك وخرج خاقان مع يزيدجرد وعبروا النهر إلى بلخ فترجع أهل الكوفة إلى مرو الروذ وفيها الأحنف بن قيس وكان الأحنف خرج ليلاً يتجول في عسكره فسمع رجلاً يقول لصاحبه: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا

الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله، ورجع - قيس- واجترأ بها -اكتفى بها- فلما أصبح جمع الناس ثم قال: إنكم قليل، وإن عدوكم كثير، فلا يهولنكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ارتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم وقاتلوهم من وجه واحد، ففعلوا وكان المسلمون عشرين ألفاً وأقبلت الترك حتى نزلوا بهم فكانوا يغادرونهم ويرأونهم ويتحون عنهم بالليل ما شاء الله وخرج الأحنف ليلاً إلى قرب معسكر خاقان فوقف فلما كان وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوق وضرب بطله فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وفعل باثنين آخرين وانصرف إلى عسكره،

وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء كلهم يضرب بطله، ثم يخرجون بعد خروج الثالث فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث، فأتوا على فرسانهم مقتلين، فتشأم خاقان وتطير، فقال: قد طال مقامنا، ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا، فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً، وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ، ولما علم يزدجرد بذلك تراجع حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك بعد أن أخذ أهل فارس الخزائن التي كانت معه وأقبلوا -أي الفرس- على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة فكانوا كأنما هم في ملكهم، إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم، فاغبتوا وغبطوا(224).

## ملك الصين ورسول يزدجرد إليه

أرسل يزدجرد إلى ملك الصين يطلب منه العون لقتال المسلمين واستعادة ملكه فأراد ملك الصين أن يتبين حقيقة المسلمين بعدما علم بانهزام الفرس أمامهم على كثرتهم وقلة المسلمين، جاء: (ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذي أرسله إلى ملك الصين فأخبرهما أن ملك الصين قال له: صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم، فقلت: سئني عما أحببت؟ فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت نعم، قال: وما يقولون لكم قبل القتال؟ قال: قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث إما دينهم فإن أجبننا أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنابذة، قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟

قلت أطوع قوم وأرشدهم، قال: فما يحلون ويحرمون؟ فأخبرته، قال: هل يحلون ما حرم عليهم أو يحرمون ما حلل لهم؟ قلت: لا، قال فإن هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا إحرامهم أو يحرموا حلالهم، وسأله عن لباسهم ومطاياهم، فلما أخبره كتب معه إلى يزدجرد إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرؤ وآخره بالصين



الجهالة بما يحق علي ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم لزالوني ما داموا على وصف، فسالمهم وأرض منهم بالمسالة ولا تهجمهم ما لم يهجموك(225).

وقد تم كذلك على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتح شهرزور والصامغان وفتح توج وكان قائد المسلمين في توج مجاشع بن مسعود، وقائد الفرس أردشير خره فالتقيا بتوج فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم الفرس ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها .

وكذلك فتحت أصطخر وجور وكان قائد المسلمين عثمان بن أبي العاص وقائد الفرس الهربذ فلما فر الفرس دعاهم عثمان بن أبي العاص إلى الجزية والذمة فأجابته الهربذ وتراجعوا وفتح مدينة شيراز وما حولها وأجابوا إلى الجزية، وفتحت فسا -مدينة بفارس وهي أكبر مدن ولاية دارا بجرد- وكان عمر قد صاح من المدينة وهو يخطب: يا سارية بن زنيمة الجبل فسمع سارية ومن معه الصوت فلجأوا إلى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله وقد سأل أهل المدينة رسول سارية إلى عمر هل سمعوا شيئاً يوم الواقعة ؟ قال: نعم سمعنا - يا سارية الجبل الجبل- وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا وكذلك فتحت كرمان وسجستان ومكران وبيرود وغير ذلك من المدن(226).

وكانت وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في سنة ثلاث وعشرون، وابتدأت حركة للفتح أخرى على عهد عثمان بن عفان.

## خلافة عثمان بن عفان ونهاية الدولة الساسانية

ظن الفرس والروم ان المسلمين أصابهم الضعف والوهن بعد وفاة عمر بن الخطاب فنقضوا العهود وتمردوا على سلطة المسلمين فتحرك المسلمون للقضاء على التمرد في كل مكان، ففي المشرق أعاد المسلمون فتح أذربيجان وأرمينية، جاء:

(وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين- غزا الوليد بن عقبة - وكان من القادة على عهد عمر- غزا أذربيجان وأرمينية لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر، وجاء خفر الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية، ثم ان الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين ثم انهم حبسوها عند وفاة عمر، فلما ولي عثمان وولي الوليد بن عقبة الكوفة سار إليهم حتى وطنهم بالجيش فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ففعل)(227).

## المسلمون يتابعون الفتح

وكان عثمان قد ولي قيادة الجبهة الشرقية عدداً من القادة بعد عزله أبا موسى من البصرة، جاء: (لما ولي عثمان أقرأً أبا موسى على البصرة ثلاث سنين وعزله في الرابعة، وأقر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي فأثخن فيها إلى كابل وأثخن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة فلم يدع كورة إلا أصلحها وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التميمي فأثخن فيها حتى بلغ النهر، وبعث إلى كرمان عبد الرحمن بن عبيس، وبعث إلى فارس والأهواز نفراً) (228).

## انتقاض أهل فارس

جاء: (ثم ان أهل فارس انتقضوا ونقضوا بعبد الله بن معمر فسار إليهم فالتقوا على باب أصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون، وبلغ الخبر عبد الله بن عامر - وكان على البصرة - فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس إلى فارس فالتقوا بأصطخر، وكان على ميمنته أبو برزة الاسلمي وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن حصين ولكلهم صحبة وأشد القتال فانهزم الفرس، وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت أصطخر عنوة وأتى دار بجرد وقد غدر أهلها ففتحتها وفتح مدينة جور وهي أردشير خره وعاد إلى أصطخر مرة ثانية بعد أن انتقضت فافتتحتها وقسم بلاد فارس على عدد من القادة وكذلك فعل بخراسان) (229)، (ومن ثم عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة بسعيد بن العاص وبعد أن تسلم سعيد بن العاص راية الكوفة سنة ثلاثين غزا طبرستان واستولى عليها وفتح عبد الله بن عامر والي البصرة مدينة جور من أرض فارس وافتتح بلاداً كثيرة من أرض خراسان وافتتح نيسابور وطوس وأعمالها صلحاً وصالح أهل سرخس ومرو أما أهل طخارستان وأهل الجوزان والغارياب فقد اقتتلوا مع المسلمين قتالاً شديداً ثم هزم الله تعالى المشركين وكان النصر والحمد لله، وكان قائد المسلمين الأحنف بن قيس ثم صالح الأحنف أهل بلخ فصالحه أهلها) (230).

اختلف في سبب مقتله وكيف كان ذلك، جاء عن ابن إسحاق قال: (هرب يزيدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو فسأل مرزبانها مالاً فمنعه، فخافوا على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه، فقتلوا أصحابه وهرب يزيدجرد حتى أتى منزل ينقر الأرصاء على شط المرغاب فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله . وفي رواية أخرى قال: أتى يزيدجرد مرو هارباً من كرمان فسأل مرزبانها وأهلها مالاً فمنعوه وخافوه، فبيتوه ولم يستجيشوا عليه الترك فقتلوا أصحابه وخرج هارباً على رجليه معه منطقتة وسيفه وتاجه حتى انتهى إلى منزل نقار على شط المرغاب، فلما غفل يزيدجرد قتله النقار وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره، حتى خفي عليهم عند منزل النقار، فأخذوه فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه فقتلوا النقار وأهل بيته وأخذوا متاعه ومتاع يزيدجرد وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب)(231).

وفي رواية أن ماهوية مرزبان مرو عندما علم أن يزيدجرد يريد عزله استعان بالترك من أجل هلاكه، جاء: (ان يزيدجرد أتى خراسان ومعه خرزاند مهر، أخو رستم وهم بعزل ماهوية، فكتب ماهوية إلى الترك يُخبرهم بانهزام يزيدجرد وبقدومه عليه وعاهداهم على مؤازرتهم عليه وخلق لهم الطريق، وأقبل الترك إلى مرو، وخرج إليهم يزيدجرد فيمن معه من أصحابه، فقاتلهم ومعه ماهوية في أساورة مرو فأتخن يزيدجرد في الترك فخشى ماهوية أن ينهزم الترك، فتحول إليهم في أساورة مرو، فانهزم جند يزيدجرد وقتلوا، وعقر فرس يزيدجرد عند المساء فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رجا على شط المرغاب فلما عرف وعلم ماهوية بذلك أمر بقتله الطحان وألقى جسده في المرغاب فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان وهدموا رجاه، وخرج أسقف مرو فأخرج جسد يزيدجرد من المرغاب فجعله في تابوت وحمله إلى أصطخر)(232).

وهناك روايات أخرى ولكن معظمها تذكر أنه قتل على يد الفرس، وبذلك انتهت الإمبراطورية الساسانية ودخل الفرس فيما بعد في الإسلام وواصل المسلمون جهادهم واندفاعهم حتى وصلوا حدود إمبراطورية الصين آنذاك.

## الخاتمة

من استعراض التاريخ الساساني منذ دخول أردشير العراق وقيام الامبراطورية الساسانية وحتى انهيارها يتبين لنا :

1. أن العراق بلد عريق بعروبتة ، فقد تصدت لاردشير قوة عربية مكونة من الانباط وهم قسمان: انباط السواد الارمانيون وملكهم – بابا- وانباط الشام الاردوانيون وملكهم- أردوان - .

2. ان المقاومة العربية بقيت متواصلة وبأشكال مختلفة ولغايات متنوعة، منها عسكري كالمواجهة العربية مع ذو الاكتاف وحروب الضيزن ملك الحضرم مع الفرس وواقعة ذي قار .

ومقاومة سلبية وذلك برحيل انباط الشام إلى الشام انفة منهم أن يكونوا في ظل دولة غير عربية .

وكان رفض النعمان لتزويج بناته لأبناء كسرى رفض اجتماعي واستعلاء عربي يرى ان الفرس غير أكفاء لبناتهم.

وكانت الأهداف والغايات من المقاومة العربية ضيقة وإن ارتفعت إلى ما يمكن تسميته بالشعور القومي العربي في معركة ذي قار.

أما الفرس فكانوا يدافعون عن دولة قائمة عريقة لا يرضون من العربي قبل الإسلام إلا التبعية لهم .

أما المواجهة الفارسية مع العرب المسلمين فقد بقيت أهداف الفرس هي هي إلا أن العرب المسلمين قد مزقوا كل الحواجز وانطلقوا إلى آفاق أرحب من القبيلة أو العروبة فقد أصبح هدفهم إنساني وحملوا دعوة إلى العالم كله دعوة الإسلام .

وكذلك اختلفت الأهداف لدى كل من الجيشين الفارسي والعربي؛ فغاية المقاتل المسلم غاية تسمو فوق كل

تضحية -إعلاء كلمة الله عز وجل- وعند المقاتل الفارسي الحفاظ على واقع فقد مقومات بقائه الإنسانية وأصبح واقعاً طبقياً حتى بين القادة إذ التفاوت في مراتب الشرف بين القادة حتى يتفاوت أثمان لباسهم وبينما يندم ذلك بين المسلمين فلا يعرف القائد من بينهم فهم في المظهر سواء.

الانضباط والطاعة في الصف الإسلامي وطلب السلامة في الجانب الآخر؛ فالقتل في المعركة عند المسلم شهادة، وطلب النجاة عند الفرس يسمو فوق كل هدف حتى اضطر بعض قادتهم لتقييد الجند بالسلاسل خشية الفرار من المعركة.

لذا كان النصر حليف المسلمين ..

# المصادر

- ابن الاثير ، أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني الجزبي الملقب بعز الدين ، 630 هـ .
- 1 - الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ط 8 ، 1429 هـ - 2008 م .
  - البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن داود البغدادي ، 279 هـ .
  - 2 - فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1398 هـ - 1978 م .
  - ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد بن علي الكتاني ، 852 هـ .
  - 3- الإصابة في تمييز الصحابة ، الكتخانة الخديوية المصرية ، ط 4 ، 1328 هـ - 1908 م .
  - الحموي ، شهاب أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، 626 هـ .
  - 4 - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1404 هـ - 1984 م .
  - الحلبي ، علي برهان الدين ، 1044 هـ .
  - 5 - السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت 1400 هـ - 1980 م .
  - ابن خياط ، خليفة العصفري ، 240 هـ .
  - 6 - تاريخ خليفة ، حققه أكرم العمري ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1967 م .
  - الذهبي ، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، 748 هـ .
  - 7 - الخلفاء الراشدين من تاريخ الإسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1408 هـ - 1988 م .
  - الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، 666 هـ .
  - 8 - مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، 1985 م .
  - المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي 346 هـ .
  - 9 - مروج الذهب ومعادن الجواهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة المصرية ، صيدا ، بيروت 1408 هـ - 1988 م .
  - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، 310 هـ .
  - 10 - تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 4 ، ت ط بلا .
  - ابن كثير ، عماد الدين ، عماد الدين أبو القداء إسماعيل الدمشقي ، 774 هـ .
  - 11 - تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1389 هـ - 1970 م .
  - أكرم ، جنرال باكستاني .
  - 12 - سيف الله خالد بن الوليد ، دراسة عسكرية تاريخية عن معاركه وحياته ، ترجمة صبحي الجابي ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ط 4 ، 1402 هـ ، 1982 م .
  - خطاب ، اللواء محمود شيت .
  - 13- قادة فتح العراق والجزيرة ، دار الفكر ، بيروت ، 1397 هـ - 1977 م .
  - الصلابي ، علي محمد محمد .
  - 14- السيرة النبوية ، عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار المعرفة ، بيروت 1426 هـ - 2005 م .
  - 15- عمر بن الخطاب ، شخصيته وعصره ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ - 2003 م .
  - كمال ، أحمد عادل :
  - 16 - الطريق إلى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ط 4 ، 1402 هـ ، 1982 م .